

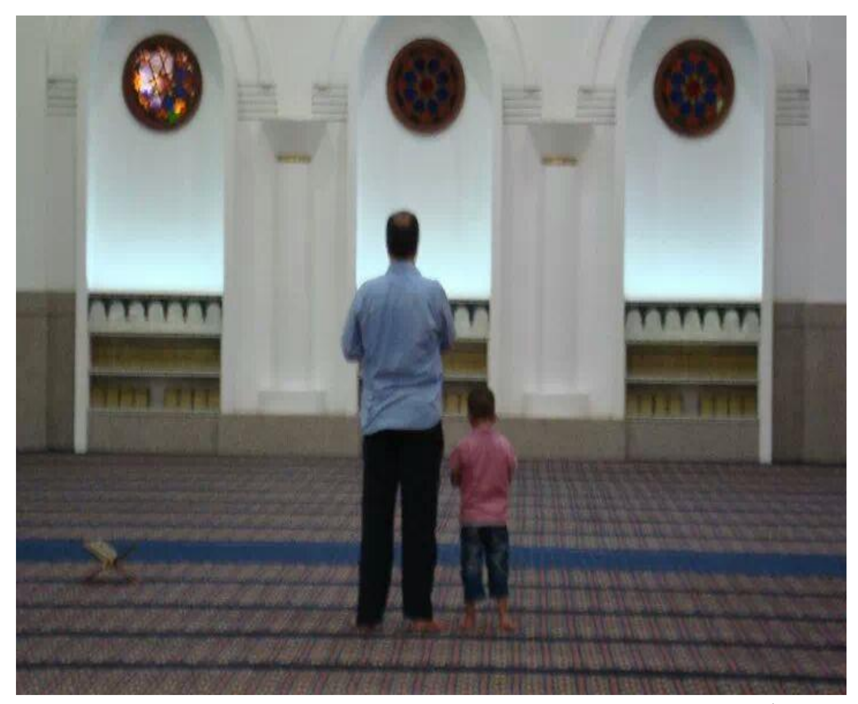
مَوَاقِفِي

للدكتور محمد جمال صقر

رمضان ١٤٣٦=يوليو ٢٠١٥

بِسْمِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَبِحَمْدِهِ وَصَلَاةً عَلَى
رَسُولِهِ وَسَلَامًا وَرِضْوَانًا
عَلَى صَحَابَتِهِ وَتَابِعِيهِمْ
حَتَّى نَلْقَاهُمْ

الْفِهْرِسُ



آبَاءُ المَسْجِدِ

اشتغل الأب منذ قليل بصلاة سنة الظهر، فانسل منه صغيره إلى خارج المسجد، فصاح بالصغير أحد المشتغلين بالتسبيح أنِ ارجعْ إلى داخل!

قال: لماذا؟

قال: هكذا!

قال: أريد أن أشاهد الناس!

قال: بل ادخل إلى أبيك!

قال: لماذا؟

قال: لكيلا يضربك الرجل!

قال: ماذا!

قال: بالخارج رجل سيضربك إذا خرجت!

فتظاهر الصغير بطاعة الرجل المشتغل بالتسبيح، ولكنه تَسَحَّبَ إلى خارج، فإذا خَلْفَهُ أحد المنصرفين بعقب الصلاة يصيح به، أنِ ارجع إلى أبيك!

قال: لماذا؟

قال: لكيلا ينزعج بالبحث عنك.

فتَلَبَّثَ الصغير قليلا -ولا سيما أن حجة الرجل المنصرف العلمية أوضح من حجة الرجل المسبّح الفنية- ثم لم يلبث الصغير أن ضرب بالحجج كلها عُرْضَ الحائط!



آيَةُ اللهِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْمِصْرِيُّ الْإِنْدُونِيسيُّ

وهناك بغرفة ٣١٠٤ من فندق الحديقة الحميم بولاية جوكجاكرتا الإندونيسية، زارني مساء وصولي (الثلاثاء ٧/ ١٠/ ٢٠١٤)، شابٌّ منطو من نفسه على مسالك فهم وفن وعلم عميقة صابرة محتسبة!

تخرج ١٩٩٩ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ثم فر بقدره ٢٠٠٢ إلى إندونيسيا من بعد أن تلعَّبت به الاتجاهات، وأخلص، واجتهد، ونجح حتى صار أستاذا بالجامعة الإسلامية من ولاية جوكجاكرتا، وأنعم الله عليه بزوجة إندونيسية كريمة

النفس والأهل، أستاذة رياضيات تربوية بإحدى جامعات الولاية المئة، وكان له منها ابن تَسمَّى به فَلاحًا، وانقطع لخدمة الجامعة والمجتمع والأمة كلها من دون صخب ولا عبث، حتى قام في مقام العجائب؛ فاجتمعت له من أطرافها؛ فلم يملك أحد ممن شهده في ندوة التكامل المعرفي والتنمية المستدامة -إذا هم بالمحاضرة أو المداخلة أو المساءلة- ألا يستفتح بالثناء عليه والإشادة به؛ وكيف لا يفعل وهو يراه يتدفق بالعربية والإندونيسية والجاوية المحلية والإنجليزية جميعا معا، ويتردد بينها فهما وإفهاما وترجمة وكلاما وقراءة وكتابة فورية، فلا يجاريه أحد، ولا يستغني عنه!

ملت على أخي الفاضل الدكتور محمد المستيري، أقول له: إن هذا الشاب هو التحفة التي سنخرج بها من ندوتنا هذه! فيا عجبا كيف لا تستفيد منه السفارة المصرية في تطوير علاقتها بإندونيسيا!

وبإندونيسيا تحوَّلَ إلى فلسفة العلم بين التعلم والتعليم، حتى كان هو مهندس ندوة التكامل المعرفي والتنمية المستدامة، كما ذكر الدكتور تولوس مصطفى رئيس اتحاد مدرسي اللغة العربية بإندونيسيا- التي شارك فيها ببحثه العميق المركب القيم: "التعلم ذو الدرجات: رؤية منظومية مقاصدية ثقافية للجامعات الإسلامية، من واقع أزمتها الراهنة".



أَبُوكَ الْكَهْرُبَائِيُّ مَاتَ!

كنا في صغرنا نتجمع لِنَقْتَرِعَ على من سيجري وراءنا ليلمسنا متحركين قبل أن يقف الواحد منا صارخا:

كهربة!

وكأنه احتدم به فجأة تيارٌ كهربائي ينبغي لملاحقه أن يخاف مَسَّهُ لكيلا يصعق! وكنا نسمي هذه اللعبة: "كهربة".

فتُرَى كيف تجري اللعبة الآن بين صغارنا -لو كانت قائمة- وماذا تُسمَّى؟

"قَطِيعَة"!

كيف تستمر والجاري وراءهم يستطيع أن يمسك بهم جميعا في قطيعة الكهرباء العامة، من غير أن يمنعه مانع أو يردعه رادع أو يبخعه باخع!

تالله لَئِنْ لَعِبُوها، وجرى الجاري وراءهم، فقال قائلهم على العادة: كهربة -لا قطعها الله!- لَيقولنَّ له:

هَأَّوْأَوْ؛ أبوك الكهربائي مات!



اخْتِبَارُنَا الشَّفَوِيُّ

مِنْ شجون ما أَلَمَّ به أميرنا أبو حيان فيما علقه هنا ابننا الدكتور أحمد مجدي -بارك الله فيه!- أنني إذ قام قائم اختبارنا الشفوي من آخر طلبنا بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة سنة ١٩٨٧، الذي حظيت فيه وحدي دون سائر إخواني الأوائل بدرجته كاملة- أنني رغبت إلى مُختبِريّ الجليلين أن يُفرِداني فأَبَيَا، ثم لما طلبا إليّ أن أنظر فيما سأقرأ مما بين أيديهما من كتبٍ كبارٍ رغبتُ أن أقرأ من غير نظر؛ فأَبَيَا، ثم احتفزَا إلى سؤالي في مسائل من علوم العربية وآدابها وعلوم الإسلام وآدابه، حتى إذا ما سَكَنَتْ خواطرُهما أنشدتُهما فيما ادعيت أنه "مَذْهَبٌ نَحْوِيٌّ جَدِيدٌ":

أَلَا بَلِّغَنْ عَنِّي النُّحَاةَ رِسَالَةً فَإِنِّي أَرَى فِي النَّحْوِ رَأْيَ مَنُوفِيِّ
أُفَضِّلُ آرَاءَ الْكِسَائِي إِذَا الشِّتَا أَلَمَّ وَأَرْجُو مِنْهُ كُسْوَةَ كُوفِيِّ
وَيُعْجِبُنِي رَأْيُ الْمُبَرِّدِ كُلَّمَا دَهَتْنِي حَرُورٌ كُلَّ كَرَّةِ صَيْفِيِّ
أُلْمِلُمُ آرَاءَ النُّحَاةِ وَتَارَةً أَثُورُ عَلَيْهِمْ شَانِئًا كُلَّ نَحْوِيِّ



إِيثَارُ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الله الْغَذَّامِيِّ

أعجبني إيثار الدكتور عبد الله الغذامي البقاء مع طلاب العلم العمانيين حيث يجلسون، على الذهاب معنا إلى حيث نأتمر ثم نتعشى عشاء فندقيا فاخرا! ذاكم الناقد السعودي الشهير الذي في الصورة، لم يلائمني قط، ولم أوافقه إلا حين حملت عنه معطفه ليتوضأ!

صلينا الظهر جماعة بمصلى عمادة شؤون الطلاب من جامعة السلطان قابوس أمام قاعة المؤتمرات، ثم مضينا معا، فقلت له: إذا سمع الناس ما قلته صباحا، لم يصدقوا أنك تصلي مساء! فضحك! ولم يكن ما

قاله صباحا غير تهوين من شأن النحو المهمل من ملايين التغريدات الناجحة الفصيحة المتكاثرة على موقع تويتر الشَّبَكِيّ!

واليوم سألني أحد تلامذتي: كيف لعالم مثل الدكتور عبد الله الغذامي، أن يُهوِّن من شأن النحو؟ فأجبته: معذور! فسألني: كيف؟ فأجبته: هَوَّن النحويون الصوريون من شأن ظواهر التفكير النحوي الكثيرة المختلفة المؤتلفة، واعتنوا بظاهرة العلامة الإعرابية منقطعةً منها منفردة عنها، فهانت على الناس حتى أمثال الدكتور عبد الله الغذامي، وهي لا تتجلى أهميتها إلا في ضَفِيرة الظواهر النحوية الأخرى!

الأهرام الجمعة ١٨/ ١/ ٢٠١٣م — ص ١٦ ملحق السيارات

أستاذ واقف!

الجامعات ليست هى الجهة الوحيدة التى تمنح المراكز الوظيفية لأعضاء هيئات التدريس بها فى مصر .. من أستاذ غير متفرغ .. أستاذ متفرغ .. أستاذ مساعد .. مدرس .. مدرس مساعد.

وهناك أيضا أستاذ زائر من جامعة إلى أخرى لفترة محدودة .. وأستاذ مشارك وهذه ليست فى جامعات مصر ولا مراكز بحوثها.. ولقد نسينا تماما «أستاذ كرسي» .. الذى كان موجوداً فى جامعاتنا قبل عام ١٩٦٠

وبالمصادفة .. عرفت أن هيئة سكك حديد مصر تمنح هى الأخرى مركزاً اسمته »أستاذ واقف« .. فالقطارات السريعة العاملة بين القاهرة والإسكندرية والوجه القبلى والتى تتوقف عند عواصم المحافظات التى بها جامعات تضطر إلى منحك تذكرة »أستاذ واقف« .. وأنت وظروفك بعد ذلك!

فقد يكون المقعد الذى بجوارك خاليا لعدة محطات دون أن تستطيع أن تجلس عليه .. فحاجزه قد يظهر فجأة .. فتقع فى حرج أنت فى غنى عنه .. لذلك تظل واقفا إلى النهاية.

وارجو ألا يحدث ليس بين مركز «أستاذ كرسي» .. فى الجامعة والذى اختفى منذ الستينيات ..والذى كان يمثله أستاذ وحيد لهذه المادة أو هذا العلم ويظل فى موقعه لا يزحزحه أحد وهو القائم على عمل مناهجها .. ويظل أيضا طوال عمره المرجع لهذه المادة متى واتته صحته أما أستاذ الكرسى فى غرف هيئة سكك حديد مصر .. فهو الذى يجد كرسيا يجلس عليه طوال سفره .. على عكس الأستاذ الواقف!! .. والسبب يعود إلى الهيئة .. فهى تحجز مقاعدها لمدد طويلة أياما وأسابيع لفئات بعينها بلا نيَّة عندها للسفر .. فقط محجوزة للطواريء .. وللأمن!!

والحل بخلاف زيادة عدد العربات هو التوقف عن الحجز إلا لمن يسافر فعلا .. أو يكون فعلا على أهبة السفر!! .. بلا كلمات غامضة من طواريء أو أمن!!

د.محمود أبو النصر جاد الله
مستشفى دسوق

تَذَاكِرُ وُقُوفٍ... تَذَاكِرُ... تَذَاكِرُ...

نشر ملحق جريدة الأهرام المصرية للسيارات يوم الجمعة ١٨/ ١/ ٢٠١٣م بالصفحة ١٦، رسالة بعنوان "أستاذ واقف"، ظريفة جدا، فلما التقينا صباح الأحد ١٠/ ٢/ ٢٠١٣م، أنا وبعض زملائي بقسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، فلم تكفنا كراسي الغرفة- حكيت لهم الرسالة، ثم زدتهم عليها ما حدثنا به في مجلس محمود محمد شاكر، الدكتورُ محمود محمد الطناحي، قال:

في إِبَّانِ عَمَلِ الأستاذ محمود حسن إسماعيل رئيس الإذاعة المصرية، صَخِبَ عليه أحد الموظفين الجدد، بأنه لا يجد لنفسه مكتبا، وأنه لا صبر له على هذه الحال، وأنه لا يجوز أن يكون مثل هذا أو يستمر في المؤسسات الكبيرة، وأنه...، وأنه...، وأنه...-قال- فأمره أن يتقدم إليه رَسْمِيًّا بطلب ما يريد، ففعل، فأمسك بالطلب الأستاذُ محمود حسن إسماعيل، ثم علق عليه جوابا رسميا:

يَعْمَلُ وَاقِفًا!

فلم نزل نتذاكر تعليقه هذا مثلما نتذاكر قصائده!

رحمهم الله جميعا!

فطرب لذلك كثيرا الدكتور محمد الهادي الطرابلسي -ولا سيما بعد أن أكدت له أن محمود حسن إسماعيل هو صاحب قصيدة النهر الخالد التي لَحَّنَها وغَنَّاها محمد عبد الوهاب وتَيَّمَت الدكتور الطرابلسي- حتى نشط لحكاية ما شهده بباريس في ستينيات القرن الميلادي العشرين، من رغبته يوما في أن يشهد بعض العروض المسرحية، فلم يجد كرسيا، ولكنه عثر على تذكرة وقوف، تَمَكَّنَ بها من حضور العرض واقفا ساعتين على حقيقة السعادة المسرحية!

ولقد طربت لذلك كذلك، حتى حكيت عن يونس شلبي الممثل المصري المعروف -رحمه الله!- أنه ذكر مرة مفتخرا بنفسه وزملائه، أنهم كانوا زمان عرض مسرحيتهم "مدرسة المشاغبين" -وَهِيَ أَهَمُّ مَدَارِسِ

قِلَّةِ الْأَدَبِ الْحَدِيثَةِ- تحتشد عليهم حشودُ المشاهدين، حتى يُضطروا إلى بيعهم تذاكرَ وقوف!



تَعْلِيقَةٌ عَلَى "مَهَارَةُ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ"

اليوم – ١٨/ ١١/ ٢٠٠٨م – زرت مكتبة دار السلام بالقاهرة، ولقيت مدير نشرها، واتفقنا على ما سيكون من أمر تعاقدنا على كتابي "مهارة الكتابة العربية ".

أطلعني الأستاذ مدير النشر على تقرير المحكم الكبير الذي كتم عني اسمه، ورفع لي قدره وذكره! وعبر عن خشيته أن يضايقني شيء من عبارات هذا التقرير:

"تقرير عن بحث بعنوان "مهارة الكتابة العربية"

"مهارة الكتابة العربية"، مقال أقرب في معالجته إلى السيرة الذاتية لصاحبه ولتجاربه في الحياة وفي التعليم، منه إلى البحث العلمي! كُتب البحث بلغة فصحى تكاد تستغلق على القارئ من فرط فصاحتها وتجمُّلها، ولغة البحث العلمي تنأى عن ذلك، وتؤثر البساطة واليسر والوضوح واستخدام ما هو مصطلح عليه بين أهل الصناعة. وقد أصاب الكاتب حين نعت بحثه أو مقاله، بأنه تجربة طريفة؛ فهو هكذا حقا!

ولي عليه الملاحظات الآتية:

١ العينة المدروسة ٢٦ ورقة إجابة عن نصين صغيرين، غير كافية البتة لتعميم الأحكام. وتفسيره لنتائج بحثه تفسير ذاتي بحت، يرد الأمر إلى اختلاط التفكير والكسل العقلي... إلى غير ذلك مما يتصل بطلاب عينة البحث، والأسباب كثيرة ومعقدة، وليس مردها إلى كَتَبَة الإجابة فحسب.

٢ معياره للخطأ والصواب متشدد جدا، لا يراعي ما حدث في الفصحى الحديثة من تغيرات ليست كلها ضارة أو خاطئة.

٣ إن كثيرا مما خطأه يمكن رده إلى القواعد أو إلى الاستعمال الفصيح.

٤ يتفنن في التقسيم وفي ابتداع المصطلحات؛ فيعسر على قارئه متابعة البحث والاستفادة منه.

ومع ذلك فالبحث مقبول للنشر؛ فهو يعكس رؤية نابعة من معرفة، ومن طاقة عالية في التعبير.

وبالله التوفيق".

فلما قرأت التقرير ارتحت له، واستغربت أن يتوقع الأستاذ مدير نشر مكتبة دار السلام، غضبي لأي شيء فيه! فذكر أنه استصعب قوله:

" كتب البحث بلغة (...) وتجملها "!

قلت: لقد سرني كل ما فيه، بل وجدت فيه من يراني لنفسي، ويؤيد رأيي!

كان الأستاذ مدير نشر مكتبة دار السلام، يسمع كلامي، ويَتَبَسَّم!

ولقد كنت قدمت للمكتبة كتابين: هذا، و" عَصَا الْمِرْبَدِ: أَبْحاثٌ نَصّيَّةٌ عَروضيَّةٌ "، فلم يقر للمحكم على العصا قرار، والحر تكفيه الإشارة!

والآن أعلق كلمتي هذه بغرفة ٥٠٨ من جناح ٥-٦، من القطاع الخارجي بمستشفى المنيل التخصصي، بعد نجاح استئصال فص من إحدى رئتي أمي، أفسده الورم الخبيث - أتم الله شفاءها، وأوزعني أن أبرها! - قبل ثلاثة أيام من سفري إلى المدينة المنورة - إن شاء الله - أستاذا مشاركا، بقسم اللغة العربية، من كلية التربية والعلوم الإنسانية، بجامعة طيبة؛ فلله الحمد والشكر، حمدا وشكرا دائمين، كثيرين، طيبين، مباركا فيهما، مباركا عليهما، كما يحب ربنا ويرضى!



حَقِيقَةُ الْأُسْتَاذِيَّةِ

أمس (١/ ٧/ ٢٠١٢م)، دعتني إلى نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة، رابطة الإصلاح بكلية دار العلوم، وفاجأتني باحتفال كريم المحبة والحفاوة والأنس والطعام والشراب، ابتهاجا بحصولي على الأستاذية، في حضور شعب من شيوخ الكلية وكهولها وشبابها. وإذا المناسبة مناسبتان ممتزجتان: رئاسة الدكتور مرسي -نصره الله!- وأستاذية كاتب هذه السطور، عفا الله عنه، وعافاه! ودعيت إلى ارتجال كلمة في المقام.

عجبت في الكلمة من حرص هؤلاء الشباب على تكريمي وأنا المقصر عن حقهم دائما! لا ريب في أن لتعلقهم بي سِرًّا يستحق البحث عنه! أذكر أننا تجالسنا أنا وبعضهم في أوائل وقفات ميدان التحرير، وأنني أشرت عليهم برأي بدا لهم فيما بعد صوابه، وأنهم في أوائل عمل الجامعة بعد ذلك استدركوا وقفات التحرير بوقفات الجامعة، وأنهم فَوَّضُوني في مطالب التغيير، حتى استغرب موقفي ذاك بعض أساتذتي، فلما ذكرتُ له التفويض حذرني على مسامع المحتشدين عند إدارة جامعة القاهرة: انت مش عايز تترقى والا إيه! وقد كنت تقدمت في ٩/ ١/ ٢٠١١م، للترقي إلى درجة أستاذ، ووُزِّعَت الأعمال، فاشتعلت مصر، وتعثرت ترقيتي سنةً على رغم كفاية الأعمال!

لقد تأخرتُ ست سنوات -فرسالتي للدكتوراه في ١٩٩٦م- وما تأخرتُ عن كسل ولا إهمال؛ فلم أكف يوما عن طلب العلم، بل لا أبالي إلا به ولا أعبأ إلا بطلابه، حتى أكرر دائما على تلامذتي أن منافسي الحقَّ إنما هو الموهوب منهم، فإذا كانت بيني وبينه خمس وعشرون سنة أو ثلاثون، انتظرتُ أن ترجح كفته، إلا أن أصابره على طلب العلم. ولو كانت بيدي الآن شهادة الأستاذية لوضعتها تحت قدمي رفعا لمقام طلب العلم على مقام طلب الوظيفة!

ثم كانت انتخابات الكلية وأَيَّدْنا فيها مرشحا على مرشح، وتعهدنا بمعاونة من يفوز، وفاز الدكتور محمد صالح توفيق، وأنشأنا

رابطة الإصلاح لحشد جهود أهل كلية دار العلوم جميعا لمعاونته على إدارة الكلية والتقدم بها، وقد انتخبني أعضاء الرابطة في غيابي من غير استشارتي رئيسا لها، ولا أنكر أن انقطاعي لطلب العلم أَكْسَلَنِي عن شأو الرابطة، ومنعني من خير كثير؛ فلا أدري كيف أشكر هؤلاء الشباب! ولقد ذكرتُ من قبل وأذكر دائما ميلي إليهم، وحرصي عليهم، وتقديمي للواحد منهم على المئة من غيرهم! شكر الله لهم، وبارك فيهم، وأحسن إليهم!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

ولقد تَأَفَّفَ أولا لوضعي من درجة الأستاذية أستاذُنا الدكتور محمود الربيعي، ثم هنأني أخيرا تهنئة طيبة! فأما أستاذنا الدكتور محمد فتوح أحمد فاستنكر ذلك، ثم أقبل أخيرا يهنئني قائلا: الآن صادَفَت الأستاذيةُ الجديرَ بها، وأُعْطِيَت القوسُ باريَها! ولم يكن يجوز لك أن تَحُطَّ من شأنها؛ بل ينبغي أن تستبشر إذا نالها من يستحقها، ولا عليك أن ينالها من لا يستحقها!



حِوَارُ الشَّاعِرِ الُمتَظَلِّمِ

[بعد إعلان نتائج مسابقة شاعر الخليل ٢/ ١٠/ ٢٠١٤
(نسخة عن ذاكرة برنامج واتس أب)].

السلام عليكم دكتور

أنا سليمان بن سامي الحسني، صاحب نص "سليل الردى" أو "ركوع على ثنية الوداع" بعد التعديل.

أرغب في التواصل معكم والتعلم منكم، فأحتاج لمن يعينني على تطوير مستوى شعري لأنني غير راض عنه البتة.

فهل تقبلونني تلميذا لديكم؟

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

مرحبا بك يا حسني

وحبا وكرامة ونعمة عين

بسم الله الرحمن الرحيم

حرقة

ما بالُ قلبِك نائي الطرفِ ساهيْهِ يُرددُّ الصدْرَ من أُرجوزةِ التيهِ
إذا نسى مقطعًا إذ صار يُزعجِه نَكْزٌ يقوم شريط الدهرِ يُمليهِ
تَلاعَبُ الريحُ في بحر الهموم به لا الرفعُ يُنقذهُ، لا الخفضُ يُرديه
وصلَّبَتْهُ بِعُودِ العجْزِ مُنْفردًا ولا شبيهَ من التصليبِ يفديهِ
لو يعلمُ الناسُ ما في الصدر مُختلجًا ظنوا الجنونَ قد استشرى بِراعيهِ
مَن كان يرضعُ حِطِّينًا وتَبْدؤهُ بعد الفِطامِ بِصَبْرا كيف تُلفيهِ
من علّموهُ بأن الصبح يحرسُه فما رأى حَولَهُ إلا دياجِيْهِ
من أخبروهُ بأن اللهَ سَيِّدُهُ فأبصرَ الناسَ عُبّادًا لِواليهِ
من شَبّ يسمعُ إنّا قادمونَ أيا أقصى وشابَ وكادَ الدهرُ يُنسيهِ
سِتّونَ عامًا ولم تبلغْهُ خيلكمُ يا نُزّهَ العجزُ عنكم كلَّ تنزيهِ
وكيف يبلغُهُ مَن بات في يدِه كأسٌ وغانيةٌ حمراءُ تسقيهِ
أم هلْ حسبتُم عُلوَّ الصوتِ ينفعُه كان الحمار إذن ليثًا بِناديه
نظلُّ نُطلقُ حرفَ الشَّجْبِ في سَخَطٍ عزَّ الرصاصُ لغيرِ الطيرِ والشِّيهِ

ونسكبُ الدمعَ شلالا، فيعقبُهُ بحرٌ منَ اللّهْوِ قدْ أمسى يُرابيهِ
ونقطعُ الوعدَ تِلْوَ الوعدِ مُنْتَكِثًا إذ قد نبا السيفُ لا تجري مَواضيهِ
ونشتمُ الخصمَ حتى نفتري جُمَلاً لم تُدْرَ قبلُ فيأتي ردُّهُ إيهِ
ما أتعسَ الأمَّةَ الشّلاّءَ ينهشُها نابُ الزمانِ وتفريها عواديهِ
يا تعسَها، عزُّها في القبرِ مُضطجعٌ فما لها شُغُلٌ إلا مراثيهِ
قرّت بها عينُها في منزلٍ أنِفَتْ منهُ البهائمُ حتى الذلُّ ينفيهِ
أَكُنْتَ أبصرتَ سَجّانًا يعيثُ على جِسم العِبادِ كأنّ اللؤم يُنشيهِ
يلهو بهمْ مثلَ رَوْثِ البَهْم في وَسَنٍ وهُمْ كلاب له تُصغي وتُلهيهِ
لولا النبيُّ لقالوا إن مَن لزمتْ شقاوةٌ لَمَشى من عِرقِهم فيهِ
بكلِّ يومٍ لهم جُرحٌ، فما نشفتْ دماهُ إلا لهُ جُرْحٌ يُواسيهِ
مرثيةٌ بُدِئَ الأقصى بِمطلَعِها مِن طولِها كادت الأسماءُ تُواريهِ
لقدْ عهدناه من دهْرِ الصِّبا زمنًا نبثُّهُ الحُزْنَ طورا ثم نبكيهِ
حتى كبرنا وأمسى بيننَا طَلَلًا فالريحُ تسفيهِ والأيام تُبليهِ
لولا بقيةُ أحرارٍ بهِ ثبتوا كَشَوْكَةٍ لِعَدوِّ الله تُشقيهِ
جزمتُ أنّا مدى النسيانِ نَحذِفُهُ كما رمى الزبلَ جوفَ البحرِ راميهِ
والشِّعرُ لو أنصفَ الأقصى مُصيبَتَهُ كانت صواعقَ في الأعدا قوافيهِ
أو أنصفَ الدمعُ هَولَ الخَطْبِ لانقلبتْ على اليهودِ براكينًا مآقيهِ
أو أنصفَ الكَلِمُ الأحداثَ لامتزجتْ بهِ الرّياحُ أعاصيرًا فتُزْجيهْ
أو أنصفَ القلمُ الثرثارُ كانَ غَدَا سيفًا تحقَّقَ وَجْهَ المَوتِ رائيهِ

أو أنصفَ الكفُّ لم تجعلْ تُلَوِّحُهُ للوغد إلا لِتغشاهُ غَواشيهِ

لكنْ عمدتَ لركْبِ الهُوْنِ مُمْتثلًا تجَنّب الشرَّ واسمُد يا مُغَنِّيهِ

نادتك ليلى فيا أهلا بدعوتها وصائحُ القُدسِ ليتَ العيّ يُخسيهِ

لعلّ عُذرَكَ أن الدهرَ مُنقلبٌ فسيّدُ الأمس صبحُ اليومِ سابيهِ

أو الرّدى فجعَ الأقوامَ كُلّهمُ فأنتَ حيرانُ، مَن مِنهم تُعزيهِ

أو أنما العجز داءٌ لا دواءَ له فمُبتلاهُ دواءُ الصَّبرِ يكفيه

أوِ القناعةُ كنزٌ لا فناءَ لهُ فاملأ فؤادَك منها سوفَ تُغنيه

سبعون عُذرًا تَخيّرْ ما أردتَ بها والعذرُ أقبحُ أحيانًا لُملقيهِ

ألا لك اللهُ يا أقصى وحسبُكَ دع سُؤْلَ اللئيم فلن تَنْدى أياديْهِ

ودع قطيعا مِن الأكباش ليس لهُ إلا التّناطحُ والجَزّارُ يُفنيهِ

لا لن أقول بأنّا قادمون غدًا فالوعدُ دَيْنٌ وإنّي لا أُوَفّيهِ

والذنبُ إن كان مفضوحًا على عَلَنٍ فأحمقُ الناس من قد باتَ يُخفيهِ

لكن أقول لهذا الجيلِ ليس لهَا فارقبْ لتاليهِ أو فارقُبْ لتاليهِ

تمت بحمد الله

سليمان بن سامي الحسني

هذه قصيدة كتبتها من فترة، أرجو إبداء ملاحظاتكم عليها، أرجو ألا أكون ثقلت عليكم دكتور، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

حياك الله يا سليمان، وأحيانا بك، ولا فض فوك، وعذرا عن التأخر؛ فقد شغلتني عنك شواغل لا تدانيك، ولا حول ولا قوة إلا بالله! أنت شاعر أصيل واعد؛ فأذع، ثم أذع، ثم أذع! ولا تحرمني نتائج قريحتك أبدا! أكرمك الله، ووفقك، وسددك، وثبتك، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

أبدا جزاك الله خيرا، أنت المحسن، أشكرك على طيب عبارتك معي دكتور. ولكن أصدقك القول، فقد أتخمت من المدح والثناء على قصائدي مع علمي بأنها لا تبلغ ما يقال فيها إذا ما قورنتُ مع بعض أقراني. وهو ما حصل في المسابقة. وإنما أبحث عمن يصقلني ويدلني على كوامن النقص والخلل فأنبذها، ويرشدني إلى نقاط القوة والتمكن فألزمها. وبارك الله لكم فيما تبقون، وآجركم على ما تنفقون!

تقصد الثناء الذي لا فوز معه، لا بأس عليك؛ إن هذا الثناء أفضل من الجوائز، ثم هي به في الطريق، ولو كنت تقدمت بحرقتك هذه الحارقة -قدر الله وما شاء فعل- ووصلتني لم تفلتها إحدى الجوائز، ولكنك تقدمت بركونك إلى التكرار، الذي لا يعلّم غير الشطار!

لا يهمني الفوز بقدر ما يهمني التفوق الحقيقي الذي يقنعني أنني تجاوزت أقراني حقا. حقيقة فاجأتني ملاحظتكم علي بقدم التشبيهات والأسلوب، لأن تلك القصيدة بالذات اخترتها لكوني حرصت على التجديد فيها؛ لذا فخير فضل تتفضل به علي أن تعلمني مواضع القدم والتكرار في قصيدتي على الأقل، حتى أفهم القضية وأحسن التصرف في القادم.

جميل؛ لقد كنت أشبه بالواقفين على الأطلال من جهة وبواصفي المواضع التي مرت عليها قافلة قبيلة الراحلين من جهة أخرى، أشبهتهم اختيارا، وأشبهتهم تتبعا، وأشبهتهم وصفا، وأشبهتهم عبارة، ولا بأس؛ فهذا أول التجريب، ولكنني إذا خيرت قضيت للتي اشتملت على مزايا قصيدتك ومزايا الخصوصية كذلك.

ومن أين تنبع الخصوصية التي تمكن من الجودة؟

تنبع من خصوصية التجربة التي لم يجربها أحد غيرك حقيقية أو حكما، ومن خصوصية التعبير الذي لم يعبره أحد غيرك حقيقة أو حكما كذلك، ثم الأمور نسبية، أي لا أدعي أن أية قصيدة قد بلغت الكمال، بدليل أنه لم تزد درجة أية قصيدة عن درجة الجيد تقريبا، ولكن نختار ما نختاره بالقياس إلى ما معه.

بارك الله فيك، ووفقك، وسددك، وثبتك، آمين!

جزاك الله خيرا. ولو أفدتني بنماذج من القصيدة مع تعليقك عليها حتى تتضح لي الصورة بشكل أفضل!

بسم الله الرحمن الرحيم

ركوع على ثنية الوداع

دنا البينُ وَجّه للتجلّدِ خافقًا يكادُ من الأنّاتِ والحزنِ يُسمَعُ
إذا الدهرُ أورى جَنّتيهِ بجذوةٍ فلا الغيمُ يُطفيها ولا البحرُ ينفعُ
وطُف حولَ أركان الوداعِ مُلبّيًا لصوتِ مُنادٍ بالنوازل يَصدعُ
وصلِّ صلاة الدمعِ فوقَ ثَنِيّةٍ على حَرفِها كلُّ الأخِلاّءِ رُكّعُ
تَناظرُ طيفَ الشمسِ عندَ غروبها وتسألك العينان عنها أترجع
أعارتكَ من آصالِها حُمْرَةَ الأسى وأهدتْ بريقا في مآقيكَ يلمَعُ
إذا كان كفُّ الصبْحِ يحملُ فُرْقَةً فلستُ إلى إشراقهِ أتَطَلّعُ
وما تنفعُ الإنسانَ أنوارُ يومِه وليس له في القلبِ نورٌ يُشعشعُ
وهل تشرقُ الأيامُ إلا عليهمُ فإنْ ودَّعُوا فهي الشموسُ تُوَدِّعُ
كأن جفوني حين ولّى ركابُنا ضحًى لجميعِ الماءِ في الأرضِ مَجْمَعُ
تراودني أطيافهم ساعةَ الدجى وأذكرهم في كل ما كان يسطَعُ
غدوتُ إليهم بالسرور مُحمّلاً ورحتُ ولي في الصدر همٌّ مزعزعُ
وكم قد خَبِرتُ البينَ حتى ظننتُني تعودتُه حتى إذا عاد أجزعُ
ولستُ أراهُ غيرَ نسْلٍ من الردى ومَن أشبهوا آباءَهم لم يُشّنَّعوا
فحتامَ يشري البينُ روحي نسيئةً ولم يُبقِ منها الدهرُ مما يُروِّعُ

إلى اللهِ قُرباني ليحْفَظَ مُقْلةً بأرضٍ سناوٍ لي بعينيه تُصنَعُ
إذا ما شرعتُ السيرَ عنها مُوَلِّيًا فروحي إليها تُستَحثُّ وتَنزِعُ
ولستُ بِسالٍ عن هواها وإنني لدى ذكرِها يُصغي فؤادي ويخشعُ
أودِّعُها أُغضي بطرفي من الأسى وقافيتي حَرّى تئنُّ وتدمعُ
وبي لوعةٌ كادتْ لِتودي بمهجتي ولكنْ بآمال اللقا أَتَشَفَّعُ
تمت بحمد الله القصيدة

أحسنت، خففت عني؛ فاصبر علي حتى أفرغ من بعض أشغالي، وتشتغل أنت بما بين يديك، ولاسيما أننا تآنسنا الليلة!

تفضل دكتور متى ما أحببت، أنت المحسن!

بني الكريم سليمان الحسني، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

كيف حالك؟ أسأل الله أن تكون بخير أنت ومن تحب!

قد نظرت في قصيدتك المشاركة في مسابقة شاعر الخليل مرة أخرى، أتذكر ما حملني على تأخيرها عن أربع المراتب؛ فذكرت ما يأتي:

أن موضوع القصيدة مستهلك: الرحيل والوداع والبين والحزن والحنين- وأن أكثر صورها مأثور: ظهور خفقان القلب واشتعال الكمد وحمرة الأسى وإعارتها ونور القلب وتوديع الشموس والهم المزعزع ونسل

الردى...- وأن بعض تعبيراتها غير مطمئن في بيئته الشعرية: وجه للتجلد ومن أشبهوا آباءهم لم يشنعوا ويشري نسيئة وإلى الله قرباني...- وألا سكوت مع هذه الفصاحة على كسر باء خَبِرَ، ولا على صياغة تركيب "كادت لتودي"- وألا جديد بمفاصل القصيدة وكأنها تتبع تاريخي جغرافي لا تركيب فنيّ مدهش باختلاط المتوقع وغير المتوقع.

أظن أن ذلك مما أطال بي الوقوف عليها، وحيرني في أمرها حتى فصلت بينها وبين غيرها مما يباعدها ويقاربها.

وشهادة أدين بها أن مستواك لا يقل عن بعض من كرموا، وعما قريب تجد مصداق ما أقول، على أن تعينني على نفسك بدوام التثقف والتطلع والتجريب، وأن تختزن غضبك لتجويد عملك!

وفقك الله، وسددك، وثبتك!

آمين!

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

الحمد لله -دكتور- أنا بنعمة وعافية!

أولا أعتذر منك، فلم أر رسالتك إلا الآن. وكثيرا ما يحصل خلل بالبرنامج؛ فلا أتلقى إشعارا ببعض الرسائل. وأشكرك جزيلا على ما أفدتني به، وسأسعى لالتزامه بإذن الله.

آجركم الله فيما أنفقتم وبارك لكم فيما أبقيتم!



خَبَرُ "أُمِّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا"

اصطحبنا أنا وأبو همام عام ٢٠٠٦/٥ بقسم اللغة العربية من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، أستاذين زائرين، وله المقام الأعلى. وتيسر لكل منا ببيته من الفراغ ما أغراه بعمل ما لم يعمل وإنجاز ما لم ينجز.

وقد برز الحج لأبي همام، وأبى ألا ينصرف عنه، وقامت عليه الحجة فيه، ولم يقم له حتى أناب عنه بعدئذ أخاه وأخانا الدكتور عبد الله عبد الحليم وكيل كلية الآداب الآن بجامعة حلوان.

ولكنه لم يهدأ له عندئذ بال ولم يهنأ فراغ، حتى انقطع لنظم هذه القصيدة (أم القرى ومن حولها)، وإرسالها إلى بيت الله الحرام -قال- على عادة شعراء الأندلس إذا عجزوا عن الرحلة إليه!

كتبها بخطه الفذ على غلاف كراسة إجابة اختبار، ثم أعطانيها لأكتبها له على الحاسوب وأرسلها إلى مجلة العربي الكويتية، وأوصاني ألا أغير طباعتها عما كتبها، بما يعلم من منهجي في طباعة الشعر!

ما زال عندي أصل القصيدة بخطه كما أعطانيه -فقد أبيت أن أعيده إليه- ولو كنت عثرت عليه هنا لنشرت صورته، ولكنني تركته في القاهرة ببيتي من جزيرة الروضة التي صُلِّيَ عليه منها اليوم في مسجد صلاح الدين قريبا من نادي أعضاء هيئة تدريس جامعة القاهرة.

رحم الله أبا همام، وطيب ثراه!

لقد جلا في هذه القصيدة من إيمانه الدفين ما أزعج بعض الشعراء الغافلين، الذين ظنوا أنهم قد استولوا عليه وأنه قد اطمأن إليهم، حتى إذا ما طلع عليهم ببائيته هذه العصماء، وَلَّوْا عنه يائسين منه!



رِحْلَةُ صَيْدٍ فِي بَحْرِ عُمَانَ

من تُرْعة رأس غَيْطِنا (حَقْلِنا) كنت أصطاد أَمْشَاط البُلْطِيّ (أشباه المُشْط من سمك النِّيل المعروف)، وأنا في الثالثة عشرة تقريبا (١٩٧٩م). يحمل فَأْسَه محمدٌ ابن عمتي فاطمة، ليضرب موضعا رَطْبًا من الأرض، فتنكشف ديدانه من أرجائه كاملة أو ناقصة، فنسحبها إلى علبة الطُّعْم (طعام إغراء السمك)، ثم على شط الترعة يخرج كلٌّ منا دودةً، ويضربها بين كفيه حتى تخمد حركتها، ويلقمها صِنَّارته (خُطَّاف الحديد) المعلقة من قصبة طويلة بخيط طويل ثخينٍ قليلا معقودٍ بغَمَّاز (خشبة طافية تدل حركتها على تعلق السمك بالطعم)، بعد مسافة من الصنارة راسبة

مناسبة، ثم يرمي صنارته بطُعْمِها من غير ثِقْلٍ، على أبعد مدى ممكن، وينتظر.

لم يكن أروع لديَّ منظرا من أن ينجذب الغماز إلى جوف الماء! ذاكم حوار خاص جدا بيني وبين سمكتي، أدعوها إلى الصعود وتدعوني إلى الهبوط! وكثيرا ما لَبَّيْتُ دعوتها، ولكنني كنت أُنِيب عن نفسي طُعْمَ صنارتي! وقليلا ما لَبَّتْ دعوتي، وانخدعتْ للطعم؛ فانجذبت به إليَّ، وابتهجتْ في جَوِّ الترعة بهجةً لم أر مثلها قط!

ولقد كنت أحيانا محظوظا دون محمد ابن عمتي فاطمة، حتى كانت السمكة تلبي دعوتي بالصنارة في زِعْنِفَتِها لا خَيْشومِها، وحتى أَحْفَظْتُ جارتنا من العُدْوَةِ الأخرى من الترعة (أَغَرْتُها)، فسألتني لابنها أو ابنتها شيئا مما اجتمع لي! ثم كانت ابنتُها بعد سنين زوجةَ محمد ابن عمتي فاطمة نفسه، بُلْطِيَّة بِبُلْطِيَّة!

واليوم (الخميس ١١/ ١٠/ ٢٠١٢م)، رحلتُ صيدًا من بحر عمان ثلاثَ عشرة ساعة، أنا وعلي بن حمد الفارسي الدكتور -إن شاء الله- ومحمد بن عبد الله الغيلاني المهندس. كِلَا الفارسي والغيلاني من صُورَ (ولاية ساحلية عزيزة كريمة باهرة يلقبها العمانيون "العَفِيَّة")، مشرق الشمس العربية بمحافظة الشرقية المطلة على بحر العرب من المحيط وبحر عمان من الخليج. أما الفارسي داعيَّ الكريم فصَيَّادٌ مفتون بالصيد من كل وجه في كل وقت، وأما الغيلاني صاحب داعيَّ الكريم فبَحَّارٌ مغامر

سبقت له رحلة من صور إلى فرنسا، تَلَبَّثَ فيها قليلا بالسويس والإسماعيلية من محافظات القناة المصرية!

مَرَّ عليّ الفارسي بجامعة السلطان قابوس بُعَيْدَ السابعة والنصف، وذهبنا نصعد ونهبط بطريق جبلي مخيف، إلى منتجع السِّيفَة بولاية مَطْرَح من محافظة مَسْقَط (منتجع مترامي الأطراف مُسْتَوْلٍ على جانب مناسب من بحر عمان، لتاجر مصري كبير رجل أعمال، زعموا أن له مثله بمدينة الغردقة على شاطئ البحر الأحمر، فصَدَّقَتِ المزاعمَ المعالمُ)، حيث حملنا أدواتنا إلى قارب الغيلاني الراسي بالمنتجع مَجَّانًا تَرْوِيجًا لمكان باهر لم يهتد إليه السياح، وربما حاروا بين الأشباهِ الكثيرة المنتشرة المُسْتَولية على السواحل العمانية!

أعطاني الفارسي شريطي حبوب قائلا: إذا وجدتَ الدُّوار والقَيْءَ فخذ من هذا حبتين ثم من هذا حبة! وألبسني سترة نجاة؛ فقلت: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"!

بقينا نعالج أحد محركي القارب حتى انطلق يقوده صاحبه الغيلاني، على حين يجهز الفارسي أدوات الصيد وأساعده أنا، فيُخْرِجُ نوعين من الخيوط الثخينة القوية جدا، أحدهما شفاف يربط به صنارة أو أكثر على مسافة ثم يعقده بأثقال من الرصاص على مسافة أخرى، ثم يربطه بالخيط الآخر الأسود الذي يسميه الزَّانَة.

الله الله الله أكبر!

تبارك الله أحسن الخالقين!

ما أهون الإنسان إلى ما أبدع الرحمن!

أوغلنا في البحر شيئا حتى أَدْهَشَنا سِرْبٌ ضخم بديع من أسماك الدولفين، يتقافز أَقْواسًا على وَتَر سطح البحر، وخلفه قوارب الصيادين لا يريدون إلا أسماك التونة المُتَيَّمَة بأسماك الدولفين؛ فهي تتبعها حيث ذهبت، نافثةً وراءها في جو البحر من حر صدورها! قلت للفارسي: ولم لا يصيدون أسماك الدولفين أنفسها؟ قال: لأنها أذكى من أن تصاد! قلت: وهل هم أغبى من أن يصيدوها! ولكنه شرح لي فيما بعد، كيف يحتاج صيدها -وإن كان ممنوعا- إلى محاصرتها كما يحاصر المطاريد!

أوقف الغيلاني قاربه، فصَفَرَ، وتبين أن أحد محركيه قد تعطل، فرأى أن نلجأ إلى بندر الروضة (أقرب موائل الصيادين والبحارة والمتشبهين بهم)، لنملأ خزان الوقود اطمئنانا، ونطلب من يصلح المحرك، فإذا صَفٌّ مُصْطَفٌّ، كل يريد الوقود مثلما نريد، وإذا مستودعه على مرتفع، تنزل منه الخراطيم الطويلة إلى مرسى خاص يحاذيه القارب بعد القارب. التزمنا حَدَّنا ولا سيما أننا مضطرون إلى انتظار من يصلح المحرك، وملأنا خزان القارب بمئة وعشرين لترا، وصببنا عليها قارورتَيْ زيت، وحفظنا إلى حينٍ قارورة ثالثة ومعنا أوعية وقود مستقلة (جَرَاكِن كبيرة)، ثم تحركنا إلى جانب ننتظر حتى حضر ثلاثة فنيين ولم يفلحوا في إصلاح المحرك، فاكتفينا بالآخر.

لم نذهب عن بندر الروضة حتى جَوَّلْتُ فيه -فإذا قصر السفير الإنجليزي على مرقبة، يرفرف في سماء المكان العزيز عَلَمُه- وصورت مناظره، واسترحت إلى حمام مستراحه الأعجمي الفخم، وتوضأت، ثم صليت الظهر بالقارب، وكذلك صليت من بعدُ العصر والمغرب، وإن لم أستطع أن أكمل صلاة العصر واقفا والقارب إعصار على صفحة البحر؛ فلم أكد أقعد من الركعة الأولى حتى أكملت الصلاة قاعدا سعيدا جدا بالثبات على أرضه من بعد القلق في هوائه!

أبحرنا من بندر الروضة، حتى استحسن الغيلاني موضعا من البحر، فأوقف قاربه، ثم أقبل هو والفارسي الذي كان قد صنع صنارتين على النحو نفسه، يطعمان صنارتيهما مما معهما من أسماك السردين الميتة، يقسم كُلٌّ منهما السمكة على نصفين، فيتصدق بنصف الرأس على هوام البحر الطافية، ويغرز في نصف الذيل صنارته من جنب إلى جنب حتى تتمكن ولا تفلت، ثم يلقيها في الماء، ويملي لها من الخيط الطويل ما شاءت حتى تطمئن على قاع البحر -فلو لم تطمئن على القاع لانجذبت بتيار الماء إلى السطح، ولم تدرك السمك- وينتظر، وكل حين يقول: صاحبي، هل عَلِقَتْ زانتك؟ حتى مَلَّ الغيلاني، فتحرك إلى موضع ثان -فكان مثل الأول- وثالث، فإذا الفارسي يصيح: علقت! وجذبها حتى خرجت بسمكة غَزْوان صغيرة، فلم يرتح كثيرا، ومل الغيلاني، فأعطاني صنارته، وذهب على مَهَلٍ يجهز صنارة أخرى، من بعد أن علمني كيف أنتبه إلى

السمكة حين أجد انجذاب الزانة شيئا فشيئا. أخفقتُ مرات، ثم شعرت مرة بما نبهني الغيلاني مثلما كنت أشعر صغيرا بحديث الغماز الخاص جدا، فجذبت زانتي سريعا، فجاءتني بسمكة جَرْشَة فاخرة أثنى عليها الغيلاني بأنها أثمن مما اصطاد الفارسي، ثم جاءتني بسمكة أبو عُرْم شائكة حذرني الفارسي أن أمسكها حتى أخمد بالضرب حركتها، وكذلك فعل ببعض سمك القَدّ والسِّيَّة الذي اصطاده، واصطاد الغيلاني سمكة جَرْشَة، وظهر أن الموضع مُسْمِك، لولا اضطرار نُوخَذَتِنا (قائدنا) الغيلانيِّ إلى الذهاب.

وكما حملنا إلى القارب أدواتنا حملناها منه، ثم نظفناه، وأبى عليَّ الغيلاني والفارسي إلا أن آخذ السمك، فأبيت عليهما بألا علم لي بطهوه ولا سبيل إليه، فأخذ الفارسي سمكة السِّيَّة فقط، وترك سائر السمك لأحد موظفي منتجع السيفة! فعجبت له يستغني عن مثل هذا السمك الطازج الثمين ولو رأى بُلْطِيَّ نهر النيل أو بُورِيَّ البحر المتوسط، لأقام له متحفا يزوره المصريون صباح مساء!

عدنا من حيث جئنا، بوَيْلَيْنِ: ويل الليل الطويل البهيم، وويل الطريق الجبلي المخيف، فأفلتناهما بجُرَيْعَةِ الذَّقَنِ، من بعد أن كدنا ننخدع ببعض المهاوي الجبلية فنهوي إليها، وببعض الثعالب المَكَّارة فندوسها، والفارسي مطمئن يصيح: انظر إلى عيون الثعالب المشتعلة، فأقول: لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ!

أسرعت في البيت إلى الحمام أخلع عن نفسي عذاب اليوم وألبس نعيمه، ثم صليت العشاء، وطمأنتُ أُمَّ بَرَاءٍ التي خالفتُها إلى هذه الرحلة حتى أوصيتُ بَرَاءً -إن لم أكلمهم- أن يسألوا عني موج البحر أو أن يسألوا فيروز الشطآن؛ فلولا أنه طمأنها بأنني سأخاف أن أفعل بالبحر ما فعلته من قبل بالنيل، ما قَرَّ لها بِمِصْرَ قَرارٌ!



رَحِمَ اللهُ سَمِيحِ الْقَاسِمْ (١٩٣٩-٢٠١٤)!

أذكر بمعرض القاهرة الدولي للكتاب أواخر ثمانينيات القرن الميلادي العشرين، أنني في صباح إحدى زَوْراتي رأيتُ شابا عربيا وسيما بملابس أعجمية في جناح المملكة العربية السعودية .

ثم في المساء رأيته بملابس عربية سعودية في قاعة الأمسية الشعرية، يكلم المقدمة حتى أشركته في الملقين، وتوالى الشعراء حتى حان حينه.

أقبل الشاب الوسيم يلقي قصيدة عمودية يسخر فيها من شاعر قومه الذي تَلهَّى في شعره عن مآسيها وتَعلَّق بملاهيها؛ فهو يحيط نفسه

بسور من الجميلات العابثات، ولا يدع من يده مِسبَحة يقلبها ولا يشعر بها!

وفي قلب الصف الأول من الحاضرين قعد يستمع إليه سميح القاسم الشاعر الفلسطيني -رحمه الله!- ومن حوله تناثرتْ زهراتُ الجميلات، وفي يده مسبحة يقلبها كما وصف الشاب الوسيم الملقي وكأنه يعنيه، واضطربت في الأمر أدلةُ المقام والمقال !

لم يملك سميح القاسم نفسه أن قال للشاب الوسيم الملقي وأشار بمسبحته: هذه هي! وبدا للحاضرين أنْ قد استحكمت أَزْمَةٌ لا مخرج منها!

فإذا الشاعر الشاب الملقي يشير إلى سميح القاسم بيده :

وهذه هي! وإذا في يده مسبحة كمسبحته!

وإذا الشاب الوسيم الملقي هو عبد الرحمن العشماوي الشاعر السعودي !



سَرِقَةُ الْكُتُبِ

قال لي وكنتُ في غمرة تحقيق آلاف الأمثال العربية القديمة بمجمع الأمثال للميداني أهم كتبها جميعا، قد استعرتُ طبعةَ بولاق منه غير المحققة؛ فلم أجد أمكن مما فيها:

خذها وضع مكانها نسختك من طبعته الأخرى؛ فأنت أحق بها وأهلها.

يختبر أمانتي -أم يفسدها- المسكين المنكَر المعروف!

ثم وقفنا من بعد على كتب لم تبق منها غير أغلفتها؛ فأما أحشاؤها فقد أكلها شر أكلة هو أو مثله!

ودعاني آخر إلى بيته، وأطلعني في حاسوبه على مئات المخطوطات، ولم يمهلني حتى أقضي منها عجبي؛ فقص علي قصة زميله الذي زار دار الكتب ليطلع على مخطوط يَعْنِيه، فرآه أحد العمال، فسأله عن منزله، ثم فاجأه مساء بالمخطوط نفسه لا بعضه ولا صورة منه، فكافأه بمئتي جنيه مُتأثِّمًا من فعلته النكراء التي أَنكرُ منها فعلتُه!

ألا ما أقبح ذلك!

ولكن ما أحسن ما حَدَّثَنَاهُ محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا، عن محمود زناتي محقق فصول المعري وغاياته، أمين مكتبة أحمد زكي باشا شيخ العروبة، التي أهداها إلى دار الكتب- أنه افتقد بعض كتب المكتبة على شدة بحثه، وأنه اتهم له أحمد زكي باشا نفسه، وأوصاه أن يراقبه؛ فعجب لخُطور هذا الخاطر له أصلا، ولكنه اضطر إلى اختباره.

لم يكن شيخ العروبة يصبر عن مكتبته بعدما أهداها؛ فكان يزورها، ويأنس إليها، ويختلط بها طَرَفًا من اليوم، ثم يمضي. ومرة سأل محمود زناتي كأس ماء، ثم لما أحضرها شربها من فوره، وقام يخرج؛ فناداه محمود زناتي:

أَمِنْ كأس الماء كلُّ هذه البِطْنة يا باشا!

أَخْرِجِ الكتابَ!

وإذا أحمد زكي باشا قد أخفى في عِبِّه أحد كتب المكتبة التي أهداها هو نفسه إلى دار الكتب، طيبةً بها نفسه، حريصا على خدمة طلاب العلم!

قلت لأستاذنا: كان عاشق كتب!

قال: نعم، كان عاشق كتب!

لقد أخبرنا الدكتور محمد بلتاجي حسن فقيهنا، أن الإمام مالك بن أنس أجاز سرقة الكتب، ثم رجع عما أجاز! ولربما لو حَضَرْنَاهُ لَوَقَفَنَا في تفصيل تلك الإجازة على أنها كانت للكتب المهجورة التي لم تعد تُقرأ، أو المكذوبة التي لم تشتر للقراءة!

ثم روينا عمن شهد أحد علمائنا المعاصرين يسأل في نَسْخِ الكتب بدل شرائها نسخا إلكترونيا -وليس النسخُ الورقي منه ببعيدٍ- فيفتي بألا شيء فيه ما اقْتَصَرَ على نسخها لنفسه انتفاعا لا متاجرة معه. فلما حكيت ذلك في ملأ من زملائي تَسَاخَرَ منه بعضُهم، وقد آبَ هو أو مثله من أوربة بما لا يتناهى من نسخ كتبهم!

ثم لما أذعتُ في الناس كتبًا ومكتبات إلكترونية راسلني صاحب مكتبة النيل والفرات:

أأنت الذي يفعل هذا!

وكيف لا أفعله وهو مبذول ينتفع به طلاب العلم في كل مكان.

بل قد صرت أتيح كتبي إلكترونية من أصل نشأتها، والحمد لله رب العالمين!



سَمْرَؤُوتُ الْأَكْبَرُ بِبَرِّ الْقَصَّةِ

اليوم (١١/ ٥/ ٢٠١٤)، بمنتجع بر الجصة من مدينة مسقط العمانية، التقى أعضاء هيئة تدريس كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، لقاءهم السنوي الاجتماعي العملي المعروف باسم "تواصل"، واشتغلوا حتى الغداء بعرض أفكار الجودة والاعتماد والتشاور فيها.

ثم من بعد الغداء قدموني ليرتاحوا بي إلى فقرة إبداعية؛ فعرضتُ عليهم مختارات من "سمرؤوت: ديوان الصور المسموعة والأصوات المرئية"، عَقِيبَ مقدمة اشتملت على تلاوة آيات الشعراء من آخر سورة الشعراء، ثم على قولي: "أما بعد؛ فعلى أصداء حِواريَّة الأوركستر العماني

وعُود عمّار الشريعي، أَعْرِضُ عليكم صورا غَنيّة مُغْنِية، أترك لكم الواحدة منها ربع دقيقة، لتتأملوها فتعبروا عن رسالتها بكلمة واحدة، من مثل إحدى هذه الكلمات الدالّة: «عِلم أو جَهل، وعَدْل أو ظُلْم، ويَقَظة أو نَوْم، وقُوة أو ضَعْف، وغِنًى أو فَقْر، وشَجاعة أو جُبن، وحُرِّيَّة أو عُبودية، وإنسانية أو وحشية،...، وهكذا. لِأُعبِّر عنها بقطعة شعرية محكمة، أضيفها من أطراف الصورة إلى الموضع الذي تزداد دلالتها فيه عليها! ولكل مَنْ وُفِّقَ إلى الكلمة المناسبة، قَلَمٌ من أقلام الشعراء، هذه الحمراء، المقروءةِ عليها آياتُ الشعراء السابقةُ ثلاثَ مرات جهةَ القبلة، لتسيل بمشيئة الحق -سبحانه، وتعالى!- حُجَجًا في خَلْقِه على خَلْقِه. ولتمثيل العمل، أَتقدَّمُكم إلى التعبير عن الصورة الأولى، بكلمة من مثل تلك الكلمات".

عشنا نصف ساعة في عالم الفنون المتداخلة المسحور، ثم قدموا غيري لغير ما قدمتُ، فخرجت أنا والدكتور يوسف بكار قليلا نطلب الشاي والقهوة، فلقيتني أستاذة آثارٍ مصريةٌ فبادرتني بالثناء العريض، ثم سألتني عن الحكمة من تقديم آيات الشعراء بين يدي القطع الشعرية، قلت: إنما فعلت ذلك لأنبه على أنني ماض بمقتضاها إلى غايتي؛ فعجبت من دعواي وكل ما قدمته خارج عن مقتضاها! فقلت لها: سبحان الله! إن الحلال بين وإن الحرام بين. وإن الآية بضدّ ما فهمتِ، ولكن شرحها يطول، وربما التقينا له بالكلية على مهل.

ولقيني أحد المسؤولين عن تنظيم الحفل، فندَّمني على أن لم أخبرهم بما سأفعل، وإلا لجهزوا لي أقلاما فاخرة، يحفرون لي على كلٍّ منها عبارة "من أقلام الشعراء" مثلا، فسَمِعْنَا معًا في الموقف قولَ من حصل على بعضها من أساتذة الكلية: "لو أرادني أحدٌ على ما حصلتُ عليه من أقلام الشعراء، لاشتريتُ له علبةً أقلام، ولم أفرط فيه"!



سُورُ الصِّينِ الْعَظِيمُ

"مَنْ لَمْ يَزُرْ سُورَ الصِّينِ الْعَظِيمَ فَلَيْسَ بِرَجُلٍ"!

وزرت سور الصين العظيم أنا وصاحبي حكيم الصيني المستعرب، فلما أشرفنا على بابه قال سائقنا: يدعي الصينيون أنه من لم يزر سورهم فليس برجل! قال صاحبي مبتسما، ولم يكن زاره من قبل: سنرى، يتحدى وهو على البر!

فلما طرنا في سماء التِّلْفِرِيك على المهاوي البَطينة أخذه مثلُ الموت، ثم لما دَلَفْنَا على طريق السور صاعدين وهابطين في البرد الشديد، حَرَّ

حرارةَ المُصيف، وتعثَّرَ تعثُّرَ الزَّلِق، وإذا السُّور غَرور! أما أنا فقد كنت من فقدان حذائي الرياضي في كرب عظيم!



سِيَاسَةُ طُلَّابِ الْعِلْمِ

على عتبة مكتبي بقسم النحو والصرف والعروض من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وقفت عام ١١/ ٢٠١٢ أحتفي بأخي الحبيب الدكتور مصطفى عراقي -رحمه الله!- فإذا شاب يقبل علي مسرعا، فأمد إليه يدي، فيكب عليها مقبلا قائلا:

تمنى أبي لو استطاع أن يأتي ليقبل معي يدك!

وإذا هو أحد من اختبرتهم شفويا في الفرقة الأولى -وكان أقدر من غيره على الكلام العربي تلقيا وإلقاء- فقلت له:

أتحفظ من القرآن الكريم؟

قال: عشرين جزءا.

قلت: قد أشرفت؛ فلم لم تتم!

قال: كسلت!

قلت: ماذا إذا أعطيتك درجة الاختبار كاملة غير منقوصة؛ أتعدني أن تتمه؛ والله على ما نقول شهيد؟

قال ولم يتلبث: أعدك، وكأنما أصاب حافزه المنتظر!

لقد أتممت حفظ كتاب الله -سبحانه، وتعالى!- وفرح بي أبي فرحا شديدا، وكنت أنت سبب ذلك؛ فإذا قبلت يدك فإنما أقبل نعمة الله التي أنعم بها علينا بك.

والحمد لله رب العالمين!



سَيَّارَتِي الشَّبَحُ، لَا رَدَّهَا اللهُ!

(١)

لا -والله- ما أردتها، ولا سعيت إليها، ولكنها سُلِّطَتْ عليَّ عشر سنوات وعلى بنيَّ، فصبرتُ عليها خطأً مثلما يصبر المريض على مرض عُضال بَغيض الداء مَخوف الدواء؛ فسَوَّأَتْ خلقي، ولَوَّحَتْ لَوْحِي، وتجبَّرَتْ حتى أعانني عليها حَيْنُها الحائِنُ؛ فاطَّرَحْتُها عني مثلما أَطَّرِح حذاء مُتهرِّئًا مؤذيًا، غيرَ مبال بما جره عليَّ بخسي ثمنها، من أهلي الذين جعلوني مجنونا، ومن أهلها الذين جعلوني سارقا، ولو اطلعوا على سيرتها لجعلوني حكيما كريما!

لقد كنت المبتلى بمثلها في جامعة القاهرة، لا أكاد أبدو بها لحراس الأبواب حتى يعتدلوا ويسلموا تسليما، ولا الطلاب حتى ينبِّه عليها بعضُهم بعضا، ولا الموظفين حتى يأتوني إليها مذعنين، غير عجوز بعيدة العقل أقبلت تعبر أحد طرق الجامعة، فرأتها من بعيد تنهب الأرض تَسُدُّ الأفق؛ فأشارت بيُسراها متكئةً على عصاها بيمناها، مثلما تذُبُّ ذبابا أو تحقِرُ شبابا، وكانت أبعد من أن يُخشى عليها، فلما مررتُ بها قبل أن تتحرك صاحت: يا خنزير! فرَجَعْتُها إليها، وفتحت نافذتها غضبانَ: ألي تقولين هذا وأنا أستاذ بالجامعة! فقالت: ظُزْ! تدوسني وتقول أستاذ بالجامعة! فعرفت قيمتي وذهبت!- ولا زملائي حتى ينفُضوا مني أيديهم، ولا أساتذتي حتى يقيسوا إليها ويحتجَّ بها بعضُهم على بعض!

وكنت المخدوع بها في كل طريق مفتوح سريع، أحسبها جامدةً وهي تمرُّ مَرَّ السحاب، لا يمنعها مانع، ولا يَبْخَعُها باخِع، غيرَ سَفْرَةٍ ساحلية كئيبة، اضطُرَّ الشرط فيها إلى اعتراضها ذهابا وإيابا آسفين؛ فأما في الذهاب فأخذوا رخصتي، وأما في الإياب فأخذوا رخصتها؛ فقال أحد من كلمني من أصهاري قبل وصولي، يطمئن عليَّ: إذا اعترضوها ثالثةً فأعطهم عَيِّلًا من العِيال!

(٢)

حكى لي أحد زملائي ولم نكن عندئذ جميعا من ذوي السيارات، أن ابن ثَريٍّ مصري تكبَّر بسيارته على الناس في شوارع القاهرة وتجبَّر

وطغى وبغى، حتى أحدث فيهم وأفسد؛ فأمسكوا به؛ فهاتف أباه؛ فأتاه من فَوْرِه، ولم يكد يراه في أيديهم حتى صرخ فيه يسبه ويلعنه ويضربه؛ فرحمه الناس وحالوا دونه، ثم قال له: والله -يا ابن الكلب- لئن لم تعتدل لآخذنَّ منك الشبح، ولأعطينَّك الفِيَات، ولأجعلنَّك مثل أولاد الشوارع!

قلت: يا خيبة أمل المصابين المساكين الذين رحموه، ثم يا لأمثالنا -عندئذ- الذين لم يدركوا القيام في مقام ذوي الفِيَات من أولاد الشوارع!

ثم ضرب الدهر ضَرَبانَه، وسافرتُ عن الشبح -بعدئذ- معتقلةً بمأواها؛ فتوصل إليها بَراءٌ وكان المقدَّم على أقرانه في تخصصه الجامعي، وسوَّلت له نفسه أنَّ ركوبها إلى كليته أسهل من أن يبحث عمن يُقلُّه فيفوته الوقت؛ فلما أشرف بها على حراس باب الجامعة الأكبر استصغروا حجمه وسنه وزِيَّه -وإن أربكتهم البطاقة على يمين زجاجها- وتوقفوا في شأنه حتى يستأذنوا قائدهم، فطلبه، فجاءه، فعاتبه، فأَحْسَنَ إِعْتَابَهُ، فنصحه، فذكر له أنه رأي أبيه أيضا، فأثنى له على أبيه ليقنعه بمراده، ثم اضطُرَّ بما وجد من حضور جوابه أن يسمح له، على أَلَّا يعود! ولم يكن يُريد أن يعود فقد رآه بها من أراد أن يراه، ثم حَمَلَ عليها في إيابه من أراد أن يحمل، وقضي الأمر، واستوتْ بمأواها، ولكن بعد أن هبطتْ بمرتبته في تخصُّصه عما كانت قبلئذ، ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ!

يا لَلْمِسْكين!

أَغرَّه منها أنْ لم يحتَجْ في اختبار القيادة إلا إليها؛ إذ اقتحم بها مِضمارَ الاختبار الضيق؛ فلم يُكلِّفْهُ الشرطيُّ غير أن يدور فيه قليلا، ثم جاءه يتودَّد إليه بالنجاح، وقد أبى أبوه إلا أن يتعلمها في مدرسة الوزارة على كثرة طلابها؛ فرزقه الله الأستاذ صفوت المعلم المخلص الكريم العطوف، الذي كان يعلمه ثم يوصله إلى قريب من بيته!

ويغضب المصريون حين تُردُّ عليهم خارج مصر رُخَصُ قيادتهم، بما فاح من عطن فسادها الآسن. ويقول قائلهم: يرفضون تبديل رخصتي، وقد ذهبتُ فيها إلى الشرطي بمكتبه، فأجلسني، وأضافني، فلم أكد أُكمل قهوتي حتى جَهَّزَها لي معاونوه! يرفضون تبديل رخصتي أنا!

ألا عَجَبًا أَيَّ عَجَبٍ!

(٣)

ومن خصائصها المقيتة أنها كانت لا تصبر على شيء يصيبها، مهما كان هَيِّنًا؛ فلابد أن تظل بريئة من كل سوء -وهي السوءُ نفسه- فإذا صبرتْ سائرُ السيارات على الكُسُور والشُّقُور والبُقُور، وتَبَلَّغَتْ برُقَع الألوان حتى يتيسَّر طلاؤها- لم تصبر هي ولا على البُثُور حتى تُعالج منها في وقتها، وتُطلى طِلاءً لِتَبْهَى بَهاءً، وهو خَطْبٌ مُهِمٌّ مُدْلَهِمٌّ، لأن أكثر الطرق التي كانت تمر بها لا يتسع لها ولا يعبأ بها.

مرَّت بي في شارع التحرير من حي الدقي بالقاهرة وكانت حديثة التجهيز، فإذا سيارة رِيجاتا مسنونة الجانب تقف فجأة من غير تنبيه،

وتطعن كشافها بسن جانبها، ويخرج سائقها، فينادي سائق تاكسي أمامه: تَعالَ؛ أين تذهب! يريد أن يقنعني بأنه بريء مما فعلته بها سيارته، وأنه ذنب سائق التاكسي الذي ركن إلى اليمين لينزل ركابا ويحمل غيرهم، ثم انعطف فجأة إلى اليسار. وهو صادق، ولكنه مقصر بإهمال إصلاح كشافات سيارته الخلفية.

نزلتُ -وما كان أحراني ألا أنزل- فقد سَدَّت الطريق، وعَطَّلت الناس، ولم نجد من الشرطة من يفصل في الأمر، إلا أحد المتطوعين من المارة بكلمة من الحكمة العملية العالية: أنا رجل كُفْتَجِيّ (متواضع المستوى)، أرى أن تستعيض ربنا وتتوكل عليه، لأنك على حسب الظاهر صادم لا مصدوم! وتطوّع آخر بعدما اجتمع علينا شَعْبُ المكان: أنت -ما شاء الله!- رجل أعمال، لن يؤثر فيك ثمن كشاف! وتطوّع أحد ركاب التاكسي نفسه بعدما ضَجِرَ لتأخره عن عمله: لقد كنتَ مسرعا، والسرعة هنا عشرة كيلوات في الساعة! فاضطررت أن أسامح سائق التاكسي الذي لم يصدق حتى أَكَّدْتُ له، ومضيت!

ومرّت بي في طريق القاهرة الحر إلى الإسكندرية تنهب الأرض، فانتهت ولم تشبع، فإذا طريقٌ مَكروبٌ بشاحنة ضخمة من عن يسار، وبسكة القطار من عن يمين، وبحواجز إسمنتية ضخمة مفاجئة من أمام، ضيَّقت بها الشرطة الطريق لتضطر السيارات إلى الإبطاء أمام كَمينها غير الكَمين -وكانت معي أسرتي كلها- فاجتهدت عَبَثًا أن أخفف من

سرعتها؛ فقد كان الطريق متربا يُزَحْلِقها مهما تمسكت به. وفكّرتُ في الإفلات يمينا؛ فخفت الانقلاب عن مرتفع سكة القطار– ثم في الإفلات يسارا أَسْبَقَ من الشاحنة؛ فخفت أن تدركني قبل حواجز الشرطة فأضيع بينهما! ولم أجد خيرا من أن أصدم الحواجز! نعم؛ فأقبلت عليها مثلما يقبل الاستشهاديّون دون أن يعرف شيئًا أحدٌ من أسرتي المشغولة داخلها بنفسها! قالت أم براء لنفسها: لماذا توقَّفَتْ؟ ولم تدر أنها أطاحت بأحد حواجز الشرطة مثلما تنقله شواحن حمله الضخمة من مكان إلى مكان، وفتحت لنفسها منفذا، ثم توقفت!

قيل: أصدمت الحاجز حقا! وقيل: لو كانت غيرها لوجدت الحاجز على مقعدها الخلفي! وقيل: احمد الله على نجاتك أنت وأسرتك! وقيل: لهذا يصر بعض رجال الأعمال الجوالين على ألا يركب غيرها! وقيل، وقيل، وقيل،...، ولكنها لم تستمع لما قيل، وأطالت مكوثها عند معالجيها! فإن تكن حقَّرتْ إليَّ الأموال الكثيرة، وجَرَّأَتْني على بَذْلها – وهذه مَنْقَبَتُها اليتيمة– لقد عوَّدتني على غيابها، حتى فارقتُها غيرَ مشتاقٍ إليها، ولا متمسكٍ بها، ولا نادمٍ عليها!

فلا ردَّها اللهُ، أَيّةَ شيطانةٍ كانتْ!



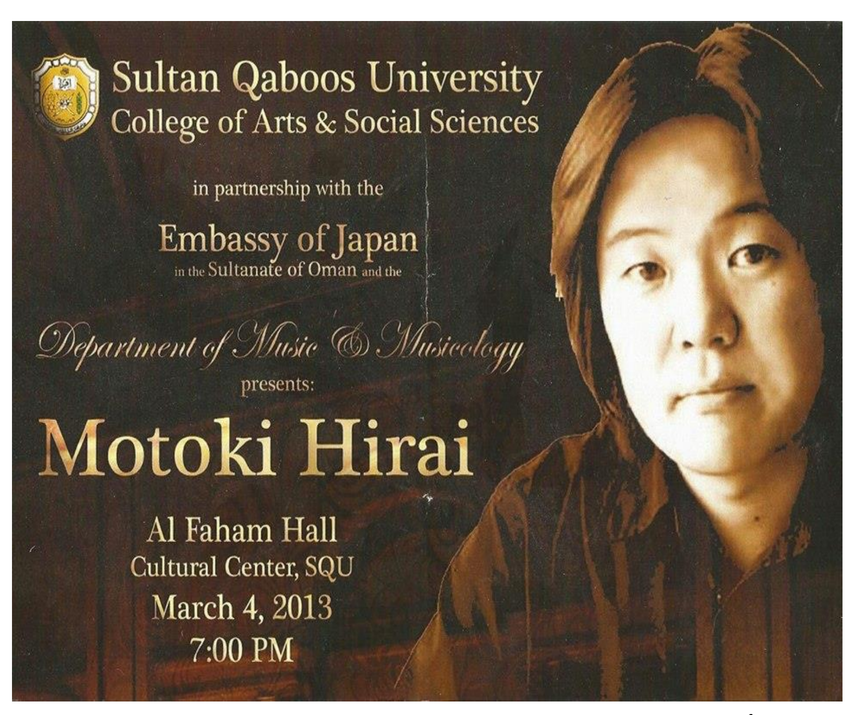
شَجَرَةُ الْخُفَافِيشِ

من جبال نوريليا بسيريلانكا أرسل إليّ عيسى الرواحي تلميذي العماني النجيب هذه الصورة؛ فأعجبتني ثمار الشجرة على سماء الغروب، فإذا به ينبهني على أن هذه الثمار المتوهمة ما هي إلا خفافيش متعلقة منها بعلاقات وثقى!

ولقد ذكرت بشجرة الخفافيش شجرة القَرادين، نعم؛ فبشارع حديقة الحيوان من جِيزة مصر الذي أسلكه دائما إلى بيتي بجزيرة الروضة القاهرية، تصطفّ أشجار ضخمة تأوي إليها طيور أبي قردان، وما أكثر ما

خلت من أوراقها إلا هذه الطيور، وعندئذ تَفْجَأ الرائي منها ثمارُها الخرافية!

ومرةً غفلتُ عنها فركنتُ إلى الرصيف تحتها بسيارتي -رَحِمَ اللهُ أشباحَ السياراتِ، ورحمنا منها!- ودخلت بأسرتي إلى عمارة الأحلام (فرست مول) على الجانب الآخر. بقينا في أوهام الأحلام إلى ما شاء الله، ثم صحونا منها على السيارة وقد بُدِّلَتْ أخرى غيرها؛ إذ اكتست بفضلات آباء قردان وأَجْداده كُسوة الحقيقة المرة!



صُمُوتٌ

صُموتٌ كلهم صموت كأن على رؤوسهم الطير! ومن حجرة مفتوحة على المسرح يدخل موتوكي عازف البيانو الياباني العالمي، بقده المتوسط وشعره المسترسل، قاصدا البيانو المتربع على المسرح وحده، وقد سُلِّطت عليه الأضواء- غيرَ منتظر تحية الجمهور من قبل أن يعمل شيئا!

كنت قد صليتُ المغرب، ثم تطلعت إليه؛ فإذا شعب من اليابانيين في كل مكان، قد تشققت عنهم الأرض، حرصا على وافدهم؛ فجلست على أول كراسي المدرج من فوق حتى يسهل علي التفلُّت!

وقف موتوكي مشدود القامة متكئا بيساره على كتف البيانو. وهكذا صار يفعل فيما بعد كلما فرغ مِنْ وَصْلَةٍ قبل الدخول إلى مستراحه. علقتُ أذني بأصابعه وعيني بقدميه؛ فقد وجدته يعزف بقدميه مثلما يعزف بأصابعه، وتذكرت نفسي -رحمة الله وبركاته على نفسي- ألم أكن أُشرك في دندنة موسيقى الشعر العربي قدمي وعصاي! نعم، عصاي ليلى سيدة العصي، التي اتصلت بها روح يدي حتى وضع في حركاتها بعضُ تلامذتي العمانيين النجباء بحثا موجزا، انتبه فيه إلى قدرتها على تعليم عروض الشعر العربي للصم! نعم؛ ألم أجعل نص القصيدة كنوتة العازف، ليصل تلامذتي إلى تجريد الوزن بضربات الأصابع أو الأقلام أو الأقدام!

رأيت موتوكي -رحمة الله وبركاته على نفسي!- وفزعت إلى صلاة العشاء!



صُورَةُ الْوَدَاعِ (١٩/ ٥/ ٢٠١٣)

ما لِهذه السفينة ولِلْوداع!

أخشى أن تُتَّخَذَ بعدنا حَنانًا يأوي إليه المُتَوَادِعُونَ كُلَّما استخفَّهم طوفانُ المعيشة الطائفُ!

وكنا من قبل أن نَصْطَفَّ أمامها، قد تَغَدَّيْنا نحن: إحسان صادق اللواتي، وأحمد الحنشي، وحمود الرحمي، وخالد الكندي، وزاهر الداودي، وزاهر الغسيني، وسعيد جبر أبو خضر، وسعيد يقطين، وعبد الحليم حامد، وعبد العزيز الصيغ، وعلي الكلباني، ومحمد جمال صقر، ومحمد عبد الله زروق، ومحمد المعشني، ومحمد نور المنجد، ومحمد الهادي

الطرابلسي، ومحمود الريامي، وهلال الحجري- بناحيتنا من مطعم أعضاء هيئة التدريس، ثم أقبل الدكتور هلال الحجري رئيس قسمنا (قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس)، يحيي ركب الأساتذة الآيبين:

الدكتور عبد الحليم حامد آيبا إلى السودان،

والدكتور حواس بري آيبا إلى الجزائر،

والدكتور سعيد يقطين آيبا إلى المغرب،

والدكتور عبد العزيز الصيغ آيبا إلى اليمن.

أَوْجَزَ التحية مؤثرا غيره؛ فظننتُ أنه يريدني!

حمدتُ الله -سبحانه، وتعالى!- على نعمته باجتماعنا من أرجاء وطننا العربي الكبير، على العمل بهذه الجامعة العمانية الكريمة الفتية، التي تتيح لنا من حرية الانطلاق والحركة ما لا تتيحه جامعاتنا العتيقة. وعجبتُ لاستواء كِفَّتَيِ المشرق والمغرب العربيين بين الآيبين عن القسم، استواءها بين الحاضرين!

ثم ذَكَرْتُ الدكتور عبد الحليم حامد، بفضله القديم الذي يتقرب العمانيون إلى الله بذكره، حتى إنه لما استُوزِرَت تلميذته الدكتورة شريفة اليحيائية، جاءه التلفاز العماني إلى حيث يعمل بمكتبه من القسم، يستخبره خبر تلمذتها عليه!

ثم ذَكَرْتُ الدكتور حواس بري، بذهابنا إلى مطار السيب (مطار مسقط) سنة ١٩٩٧، نستقبل أخانا الدكتور إبراهيم ضوة، فاستقبلناهما معا، ومخالطتي له هو وأسرته بنفسي أنا وأسرتي، ومحبتي للجزائر حتى تعلقتُ بمجسَّم خريطتها في عِلَاقة مفاتيحه!

ثم ذَكَرْتُ الدكتور سعيد يقطين، بحرصه على دلالة طلابه على ما ينفعهم من غير تعصب لمغربي على مشرقي، واستعصاء لهجته المغربية عليَّ حتى سمعته ثلاث مرات يهدر بالعربية فسمعت فصيحا لا يُقَادَرُ قَدْرُه!

ثم ذَكَرْتُ الدكتور عبد العزيز الصيغ، بمعرفتي له من قبل بأحد المؤتمرات المصرية، ثم محبتي له بقصيدته في أخي الدكتور أيمن ميدان التي تسلسلت فيها مشاعره الإخوانية عذبة رقراقة، وقصيدته "أَمْضِي" التي سَبَرَ بها في احتفال كلية الآداب السنوي أغوارَ الاجتماع والافتراق، على رغم ريبته في انْبِناء المحبة على الشعر!

فلما سمع ذلك الدكتور هلال الحجري أبى إلا أن يُعَلِّقوا!

قال الدكتور عبد الحليم: لقد قضيت بهذا المكان ثماني عشرة سنة لم أقض مثلها بالسودان بعد حصولي على الدكتوراه، حتى ساوت كتفي أكتافُ تلامذتي، ولم تبق لي من رغبة في وظيفة، إلا أن أنقطع بالسودان لبيتي غير ممتنع من تعليم من يأتيني فيه يلتمس علم ما لديّ.

وقال الدكتور حواس بري: وهل أَرْوَحُ للنفس من أن أترك عمان ومِنْ زملائي مَنْ تَلْمَذُوا لي! ثم هل أتركها إلا إليها؛ فلا والله ما شعرت

أنني مسافر عنها، كيف وأنا إنما أسافر بها! وإذا كان لي من كلمة اليوم جعلتها للتواصي بالإخلاص والإتقان؛ فهما مفتاح التوفيق.

وقال الدكتور سعيد يقطين -وقد قطعتُ عليه كلامه أطالبه بالمغربية-: ليس أحسن في وصف حالي الآن من مَثَلٍ مغربي -القلب كذا واللسان مثقال، نسيتُه أنا- يعبر عن احتشاد المشاعر في القلب وعجز اللسان عنها؛ فقد انتفعت بصحبتكم جميعا، وارتحت إليكم كثيرا، وتمنيت أن لو تيسر لأساتذة كل تخصص أن يجتمعوا كل حين مثل هذا الاجتماع، ليتباحثوا في شؤون تخصصهم وطلابهم، إذن لتكاملت جهودهم وتضاعفت فوائدها.

وقال الدكتور عبد العزيز الصيغ: سأجعل كلمتي شعرا، وكنت قد طالبته بقصيدته "أمضي" نفسها، وأقبل ينشدها من حفظه ومن أوراقه، وكان الدكتور سعيد يقطين قد أثنى عليه بها متمنيا أن لو أتيح له أن يخالطه:

أمضي فيمـلؤني من بعدها عجبُ أكنتُ فيها وكانت فيّ تضطربُ
أكنتُ أحملُ في جنبيَّ عبءَ هوى ولم تنـله أراجيفٌ ولا عَتَـبُ
وظلَّ يكـبُرُ في عينيّ متشحًا إزارَ من ذهـبوا في العشق واغتربوا
نزلتُ فـوقَ ثـراها نبتَ رابيةٍ تشدو وعصفُ رياحٍ حولها سَكِـبُ
صحبتها زمنًا عزّت مكانتُهُ وسوف تبقى معي في النفس تصطحبُ
تقلــّبتْ بيَ أحـوالُ الهوى وبها ولم تزل بي إليهـا الروحُ تنقلبُ

ظلت تراودني في كلِّ آونة ولم تزل في دمي تسعى وتصطخب
لها توقدُ عشاقٍ ودفءُ هوى لا ينقضي وحـنينٌ ليس ينسحب
على رباها التقى فرسانُ مملكةٍ لهم نزولٌ وإن جدّ الوغى ركبوا
صحبت فيها أجلاءً أساتذةً إليهم الروحُ من قبل الخطا تثب
على محـياهم سمتُ الوقارِ وفي أخلاقهم شرفاتُ الضوء تلتهب
يبقى لهم في ضمير النفس مـنزلةٌ بـهــيةٌ ووجودٌ باذخٌ صَخِبُ
حقائبي بهم ملأى وذاكرتي منهم إذا جفّـت الآبارُ تحتلب
ملأت من حبهم أحمالَ راحلتي فــفي عناقيدها من شوقهم عِنَبُ
حَلــُّوا مكانًا له في النفس منزلـــةٌ بعيدةٌ تـُـرتقى إن جَلَّت الرُتَبُ
وربما اضطربت في لحظة صورٌ وخاب ما كان عندي ليس يضطرب
سبعٌ مضت وكأني ما شعرت بها ولا حـوتها أعاصيرٌ ولا نـَصَــبُ
أمضي وأسـئلة تمضي تلاحقني وعشرة ملؤها الأوراقُ والكتبُ
وذكرياتُ أحاديثٍ وأمكنةٍ في الروح تمتد أغصانًا وتنتصب
أمضي وفرحةُ غيم أسـتسرُّ بها تمضي معي وسماءٌ ليس تحتجب
وأن أرى بعد تركي ما رغبت به ما كانت النفسُ دوما فيه ترتغب
وخفف الوطءَ عـنـّي أن أغادرها قبلي عـزيزون عنها فجأةً ذهبوا
أنِـسْت في قربهم ثم انطوت صحفٌ بيضٌ نسيمُ شذاها ظلّ ينسربُ
ما جاء ذكرُ بدورٍ من فمٍ عطرٍ إلا وجال لهم في خاطري طلبُ
إلى رُبا وطني تمضي الخطا خببا يحثها أملٌ كالصحو مُرتقبُ

مواطن العز أنداء الغمام على تخومها وذرا هاماتها ذهَبُ

ما مر بي ساعةٌ أصفى وأجمل من مرأى رباها ففيها الوقت يُنتخبُ

ولا تجلّى جمالٌ في عذوبته إلا وكان لها من حظه سببُ

هي الجنان التي تشفى النفوس بها وغيرها من مجاني حسنها شُعَبُ

أمضي إليها فتشدو النفس في فرحٍ ويملأ الروحَ حسٌّ منعشٌ عَذِبُ

ثم اسْتَوْدَعَهُمُ الدكتور هلال الحجري، وَدَائِعَ الذكريات العمانية!



طَرَائِفُ إِنْدُونِيسِيَّةٌ (١٦/ ٩/ ٢٠١٤)

[وعن يميني الدكتور أغوسلام، فالدكتور تولوس مصطفى رئيس اتحاد مدرسي اللغة العربية بإندونيسية. وعن يساري الدكتور أندي هاديانو، فالدكتور نجم الدين الأزهري ابن كلية اللغة العربية ومعهد البحوث الإسلامية].

د.أندي:

قد مررنا قريبا بما تمرون به الآن، ثم انتصرت إرادة الشعب.

د.تولوس:

كان لابد أن نتفق من أجل بلدنا وشعبنا وحريتنا.

د.نجم الدين:

لنا مئتا لغة مختلفة؛ حتى إن لكل من الحاضرين هنا لغة لا يعرفها غيره، ولكننا اتفقنا على لغة واحدة من المئتين، جعلناها اللغة الوطنية.

د.أندي:

إنها إحدى لغاتنا هذه المختلفة، ولكنها لغة أكبر قبائلنا، وأغلب على استعمال تجارنا.

د.نجم الدين:

إن لغتنا الوطنية سهلة جدا، ليس فيها ما في العربية من فروق ما بين المذكر والمؤنث ولا ما بين الأفعال الماضوية والمضارعية والأمرية...؛ فكل شيء ممكن فيها مقبول!

د.أغوسلام:

تمنيت أن أتزوج مصرية؛ فقيل لي: ألا ترى حجمك؛ فكيف!



عَرُوضِيٌّ بَيْنَ مُوسِيقِيَّاتٍ

[قصة تدريس علم العروض لطالبات الموسيقى]

(١)

يختص قسم الموسيقى بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية من جامعة السلطان قابوس، بناحية نائية من الطابق الأعلى، لم آتِها من قبل هذا الأحد ٢٨/ ٩/ ٢٠١٤، تفتح فيها الفصول أبوابها، ويتردد بينها الطلاب وأغلبهم طالبات، ليعزفوا على الآلات الموزعة عليها نَفَخيّةً ووتَريّةً وإيقاعيّةً، أو يستمعوا إلى من يعزف؛ عسى أن يُطلِقوا نغمة، أو يُمسِكوا أخرى!

- ليس أثقل من رجل غريب!

تقول عيونُ طالبات مجتمعات في الممر، مستوليات على المنظر!

- ما أسعدَ حظوظَنا جميعا!

تقول عيني الباحثة عن رقم ٢٤٠١، في لوائح الأبواب المفتوحة!

- نعم نعم، أنا أستاذ العروض.

- يا حظكن؛ أستاذ جديد!

قالت إحدى طالبات منفردات بالفصل، وذهبت.

ليتني تأخرت قليلا؛ فهذه أستاذة روسية أعرفها، قد انتحتْ يسار الفصل تجادل طالبا غريبا بين الطالبات، ثم تذهب به، ولا دليل هنا على حدود المحاضرات، بفتح الباب أو إغلاقه!

- لا بأس، لا بأس!

فتحت حاسوبي، ووصلته بالعارض، وأذعت على الطالبات بعض موادي الخاصة الممتزجة فيها الفنون اللغوية وغير اللغوية؛ فلم يملكن أنفسهن بعدما انتهت أن صفَّقن تصفيقا!

سلمتُ، وعرّفتُ، وتَعرَّفتُ.

- الآن الآن -يا بُنيّاتي- الآن الآن!

لقد رغبت من قديم في العمل بكلية الفنون الجميلة، أو كلية التربية الموسيقية، أو معهد الموسيقى العربية، أو معهد الكونسيرفتوار- أُعلِّم موسيقى الشعر، وأَتعلَّم موسيقى الآلات والموسيقى النظرية، حتى

تعود الموسيقى اللغوية وغير اللغوية سيرتها الأولى، مِزاجينِ في شَرابي، ووَتَرين في عُودي.

ولم أحظ بما رغبت إلا الآن!

(٢)

- ما العَروض عندكن؟
- وزن الشعر.
- وقافيته؛

نعم فعروض الشعر وزنه وقافيته، وعلم العروض علم وزن الشعر وقافيته جميعا معا؛ ولهذا لم يُعرَف للخليل بن أحمد واضع العلم كتابٌ في علم القافية؛ فظُنَّ في مفقوداته التي لا تحصى، والحق أن القافية عنده مع الوزن في العروض، وعلمها مع علمه في علم العروض؛ وهو القائل في كتاب العين: "الْعَرُوضُ عَرُوضُ الشِّعْرِ، لِأَنَّ الشِّعْرَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ". وهو لا يقوم بوزنه دون قافيته التي يستقر عليها وزنه.

ثم في الاشتغال بمفقوداته نظر، من حيث ينبغي أن نذكر أن الخليل بن أحمد أحد طائفة من العلماء -منهم أبو عمرو بن العلاء- ساء بالتأليف ظنهم، وأعجبهم تأليف طلاب العلم دون تأليف كتبه، فلما مات تداعى تلامذته: هَلُمَّ نُحْيِ عِلْمَ الْخَلِيلِ؛

فأحيا سيبويه علمه بالعربية (النحو)،

وأحيا الليث علمه بالغريب (المفردات)،

وأحيا الموصلي علمه بالإيقاع (الموسيقى)،

وأحيا الأخفش علمه بالعروض (وزن الشعر وقافيته)،...،

وأحيا غيرهم علمه بغيرها.

- العروض والموسيقى!
- نعم، يا بنياني!
- وما للعروض والموسيقى؟
- ما لهما؟ أيتُكن تعرف مَجمع بينهما؟
- الأنغام.
- هه!
- الألحان.
- ممَّ يتكون التعبير الموسيقى؟
- من أنغام وألحان.
- من أربعة عناصر: إيقاع، ولحن، وتوافق، وصورة؛ فاعلمن إذن أن العروض إيقاع خاص، وأن الإيقاع هو مجمع ما بين التعبيرين العروضي والموسيقى؛ وفي هذا ينبغي أن يكون مقال "الإيقاع بين العروض والموسيقى"، للدكتور يوسف شوقي. أتعرفنه؟
- وأنى لنا أن نعرفه!

- بل ينبغي أن تعرفنه قبلي؛ فلئن كان مصريا لقد انقطع هنا للموسيقى العُمانية حتى جمع موادها، وأصل أصولها، وأسس مركزها!
- نعم نعم، أعرفه؛ لقد أحالنا على أعماله بعض أساتذتنا.
- الله أكبر! بارك الله فيكِ -يا بُنيّتي- هلا تفضلتِ علي بها؛ عسى أن يكون منها مقاله ذاك "الإيقاع بين العروض والموسيقى"!
- أفعل، إن شاء الله!
- رحم الله الدكتور يوسف شوقي؛ أيَّ رجل كان!

نعم؛ لقد كان عالم الحفريات بقسم الجيولوجيا من كلية العلوم بجامعة القاهرة، وعالم الموسيقى العربية الفذ، والأديب الأريب الذي أوتي الفهم عن قدامى الكتاب العرب، حتى تولى تحقيق كتبهم، ولم تَتعاظَمْهُ ضخامتُها ولا قدامتُها -نعم- وأحد كبار الموسيقيين الذين أقاموا بالقاهرة مؤتمر الموسيقى العربية العالمي الوحيد الخالد سنة ١٩٣٢! ويا ما كان أعظم بهجة عمي هو وزملائه بقسم الجيولوجيا، حين علموا أنه سيدرس لهم؛ فتطلعوا إلى اختبار ما قدَّروه فيه، ويا ما كان أعظم اكتئابهم حين علموا أنه قد اعتذر باشتغاله!

ولم يكن لمثله أَلَّا يكون في أصحاب محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا! نعم؛ حدثنا الدكتور محمود محمد الطناحي أنه دخل بيت الأستاذ شاكر، ثم توصل إلى مُنتَحاه؛ فإذا به قد اجتمع هو والدكتور

يوسف شوقي والدكتور عبد الله الطيب المجذوب -رحمهم الله جميعا، وطيب ثراهم!- يتنازعون تمثيل رموز الأصفهاني الموسيقية في كتابه الأغاني -أظنها التي من مثل: "من الخفيف الأول والثاني...، بالوسطى في مجرى البنصر..."- فهاله جبروت تفكيرهم؛ فولى عنهم!

ولقد رأيت لذلك -يا بنياتي- أن أبدأ بما كنت أنتهي إليه إذا درستُ علم العروض لطلاب قسم اللغة العربية وآدابها، كلمتي هذه "لولا الغناء لم يكن الشعر، ولولا المغني لم يكن الشاعر"؛ فلديكن من المعرفة الأولية ومن الأريحية الفنية، ما يغنيني عن طول التلطف في التأتي إليها.

(٣)

- في طفولتي -يا بنياتي- أدركتُ أثرياء قريتنا يدعون إلى إحياء أعراسهم الشاعر فتحي، الذي لم يكن غير مُغنٍّ يقص عليهم بغنائه من سير الصالحين والفرسان والعشاق.

ولقد كانوا فيما سمَّوه به، على أصل أصيل؛ فلم ينبع الشعر والغناء في أول الزمان إلا من منبع واحد، ولم يصدرا إلا عن إنسان واحد (امرئ، أو امرأة)، كان هو الشاعر والمغني جميعا معا، أُوتِيَ من وَعْي الجنان وظَرْف اللسان ما اضطره كلما بَرَّحَ به شأن من شؤونه، إلى أن يصدح بالتعبير عنه؛ فمن سمَّاه المغني كمن سمَّاه الشاعر، إلا من يسميه الشاعر المغني؛ فهو أصوب رأيا، وأنفذ بصرا.

ومثلما تدرجت أحوال الإنسان من قديم إلى حديث، تدرج صُدَاح هذا الشاعر المغني:

١ من صُدَاح بترديد أصوات لا معنى لها،

٢ إلى صُدَاح بترديد كلمة واحدة ذات معنى واحد،

٣ ثم صُدَاح بترديد جملة واحدة ذات فكرة واحدة،

٤ ثمت صُدَاح بترديد جمل مختلفة ذوات أفكار مؤتلفة.

أتعرفن سر نشأة فن الأوبرا الموسيقي؟

- ما هو غير صراخ غريب!

- إن هذا الصراخ الغريب -يا بنياتي- مذهبُ بعض الموسيقيين في مراجعة ذلك الصداح الأول! ألم تسمعن كيف يفكك الجمل ثم الجملة ثمت الكلمة توصلا إلى الصوت! إنه يريد رد هذه الأَصْدِحَةِ بعضها على بعض رجوعا إلى ذلك الصداح الأول الذي يراه شعار الحياة الطريئة البريئة الشفيفة العفيفة!

ومن طرائف ما تداوله علماء الشعر العربي القدماء في نشأة الشعر العربي أن رجلا سقط عن بعيره على ذراعه فجعل يصرخ: وَا ذِرَاعِي، وَا ذِرَاعِي، وَا ذِرَاعِي؛ فطرب له صحبه، وحنت إليه إبلهم، وكأنه كان هو شاعرهم المغني الأول! وأطرف من الخبر نفسه أن يستشهد به بعض العروضيين العرب المعاصرين على أصالة بحر الرمل وتفرع غيره عنه؛ من

حيث تتزن عبارة "وَا ذِرَاعِي" السابقة على "فاعلاتن (تفعيلة بحر الرمل)"!

لاريب لدي في أن القصيدة الأغنية التي نعرفها، لم تنشأ إلا في الصداح الرابع، الذي استطاع به الشاعر المغني أن يردد جملا مختلفة التراكيب مؤتلفة الأفكار على همه الواحد، بعدما وقف في الصداح الثالث عند ترديد جملة واحدة، وفي الصداح الثاني عند ترديد كلمة واحدة، وفي الصداح الأول عند ترديد صوت واحد.

ولكن ينبغي أن نذكر أن لاكتمال صيغة الكلمة من الصداح الثاني أثرا كبيرا في تطوير الوزن العروضي، ولاكتمال الجملة من الصداح الثالث أثرا كبيرا في تطوير التقفية العروضية؛ فكما ظهرت الأوزان المختلفة بترديد الكلمات المختلفة الصيغ، ظهرت القوافي المتَّحدة بترديد الجملة الواحدة.

(٤)

- ترى –يا بنياتي– ماذا كانت معازفُ الشاعر المغني الأول؟
- لم تكن له معازف!
- بل كانت أوتارُ حنجرته الصوتية هي معازفَه الأولى، يُقلِّدُ بها ألحان الكائنات من حوله.
- أهذه هي معازفه!

- ثم ربما ضعف عن ذلك؛ فاستعان من أدوات حياته بما يعوض ضعفه: قَصَبةٍ ينفخ فيها فترنَّم مثل عصفورة، وقِرْبةٍ ينقرها فتهدِل مثل حمامة، وقَوسٍ يشد وترها فتحن مثل قُمْريّة.

وقليلا قليلا في الزمان الطويل بعد الزمان الطويل زادت المعازف، وجادت، واستقلت بأهلها الذين صاروا يجدون من يستمعون إليهم وحدهم؛ فيجتهدون لهم فيما يطربهم، حتى ابتدعوا أجناسا وأنواعا كثيرة مختلفة متزايدة من التعبيرات الموسيقية. وبقي للشاعر ما انتهى إليه غناؤه شعرَه قبل أن تستقلَّ بموسيقاه آلاتُها، من خصائص عروضية (وزنية، وقافوية).

- كأنك اطلعتَ على الغيب!
- بل اطلعتُ من روايات الأصفهاني على خبر أبي النضير الذي دخل عليه الموصلي مجلسه فوجده يغني مثلما يقطع الخليل بن أحمد البيت تقطيعا عروضيا؛ فقال له فيه؛ فقال: هَذَا الْغِنَاءُ الْقَدِيمُ!
- كيف هذا؟
- مثل غناء مِيحَدْ حَمَدْ مغنيكم البدوي المعروف، ومثل غناء صوفية صعيد مصر بردة البوصيري!
- أين ذاك من هؤلاء!
- لقد مررت بموقف سيارات مدينة ملوي من محافظة المنيا بصعيد مصر؛ فسمعت مسجَّل غناء البردة:

أَمِنْ تَذَكْ/ كُرِ جِيـ/ رَانٍ بِذِي/ سَلَمِ/ مَزَجْتَ دَمْـ/ عًا جَرَى/
مِنْ مُقْلَةٍ/ بِدَمِ/
أَمْ هَبَّتِ الرْ/ رِيحُ مِنْ/ تِلْقَاءِ كَا/ ظِمَةٍ/ وَأَوْمَضَ الْـ/ بَرْقُ فِي
الظْـ/ ظَلْمَاءِ مِنْ/ إِضَمِ/

يقف المغني على أواخر الأجزاء وقفات منغومة، تزداد في أواخر الأبيات سَحْبةً هابطة حزينة. أما ميحد حمد فقد كان سائقي العمانيُّ مفتونا بشريطه "الحواس الخمس"، الذي جرى فيه بلهجته العامية، على وتيرة واحدة واضحة من الغناء العروضي!

- ثم سلك الشاعرُ بلغته وعروضه مَسلكًا، وسلك الموسيقيُّ بآلاته ومقاماته مَسلكًا غيره، وتباعدت الشُّقَّةُ حتى استحال علينا تصديق ذلك الأصل الذي ذكرتُ؟
- نعم، ولكن بقيت الموسيقى على بال الشاعر، والشعرُ على بال الموسيقي، يتشوَّف كلٌّ منهما إلى مآلاتِ قَرينِه، ويتطلع إلى مُناصاته، حتى إذا ما قام قائمُ الغناء، واجتمعا هما والمغني جميعا معا- تَواضَعَ كُلٌّ منهما للمغني.
- يتواضعان للمغني!
- نعم؛ فللغناء شعره وموسيقاه المناسبان، اللذان يتحرى فيهما الشاعر والموسيقي كلاهما أن يَتخفَّفا من كنوزهما الثقيلة

العويصة، ويكتفيا بما يتحمله المغني. ولو تَأَمَّلَا لوجدا أنهما قد راجعا حال جَدِّهما الواحد الأول الشاعر المغني!

- آه شَوْقًا إليه!
- تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ

صدق أبو الطيب!

- وماذا يرضيك؟
- أن تُنصِتْنَ إليَّ أقرأ كلمتي هذه التي أجملتُ لكنَّ فيها ما سبق كلَّه إجمالَ حَريص طَروب، وأن تقرأنها أحسنَ قراءة وتكررنها أوفى تكرار حتى تحفظنها؛ فمن حفظتها فلها خمس درجات كاملة:

لَوْلَا الْغِنَاءُ لَمْ يَكُنِ الشِّعْرُ وَلَوْلَا الْمُغَنِّي لَمْ يَكُنِ الشَّاعِرُ

لقد نشأت الموسيقى وعَرُوض الشعر نشأةً واحدة؛ فكان المغني الأول إذا شغله أمرٌ من الحَزَن أو الفرح دَنْدَنَ أصواتًا غُفْلًا من المعنى، يُلَحِّنُها من سِرِّ نفسه تلحينًا يُمَثِّل مَشاعرَه ويُهَدْهِدُها. ثم صار يُدَنْدِنُ الأصوات مُركبةً في كلمةٍ ذاتِ معنى، فهو يكررها باللحن نفسه. ثم صار يدندن كلماتٍ مختلفةً مؤتلفةً في جملة واحدة -وعندئذ كان البيت من الشعر- فهو يكررها باللحن نفسه. ثم صار يدندن جُمَلا مختلفةً مؤتلفةً -وعندئذ كانت القصيدة- فهو ينتقل من بيتِ الجملةِ منها إلى بيتِ الجملةِ باللحن نفسه؛ فإذا الأغنيةُ (القصيدةُ) دوراتٌ متشابهاتٌ لا تكاد تبدأ حتى تنتهي، تَضْبِطُها قَرَارَاتُها (قَوَافِيها).

ثم نشأت الآلات، فاسْتَقَلَّتْ بالموسيقى عن عروض الشعر، ومضى كُلٌّ في سبيله حتى تباعد ما بينهما، ولكن بَقِيَتْ صِلَةُ الغناء الواصلةُ، تَحْمِلُ الموسيقيين والشعراءَ جميعًا معًا، على أن يجتمعوا على لُغَةٍ سَواءٍ، وعندئذ يُراجعون ذلك الأصل البعيد؛ فتَلْتَبِسُ أنغامُ الموسيقيِّ بتفعيلاتِ الشاعر، والبَحرُ العروضيُّ بالمَقامِ الموسيقيّ، وتتفجر اللغةُ السَّوَاءُ، ويتجلَّى خِصْبُ تَوْظيف العَروض تَوْظيفا موسيقيًّا!

(٥)

بَيَانُ التَّخْرِيجِ الْعَرُوضِيِّ

قال سُوَيْدُ بنُ كُراعَ العُكْليُّ (مُعاصِرُ جَرِيرِ والفرَزْدَق):

أبيتُ	**بأبْوَابِ الـْ**	**قوَافِي**	**كَأنَّمَا**	**أصَادِي**	**بهَا سِرْبًا**	**مِنَ الْوَحـْ**	**ش نُزَّعا**
دَدَنْ دَ	دَدَنْ دَنْ دَنْ	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن
فعولُ	مَفاعيلنْ	فعولنْ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة
أكَالـِ	**ـُهَا حَتَّى**	**أعَرِّ**	**سَ بَعْدَمَا**	**يَكُونُ**	**سُحَيرًا أوْ**	**بُعَيْدَ**	**فَأهْجَعا**
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة

من قصيدة طويليَّة الأبيات الوافية المقبوضة العروض والضرب، عَيْنيَّة القوافي المفتوحة المُجَرَّدةِ الموصولةِ بالألف.

- تأمَّلْنَ -يا بُنياتي- هذا البيان العروضي، ألا تُشبِّهنه من عملكن بشيء؟
- بلى؛ إنه كالبيان الموسيقي!
- الذي يسميه موسيقيو المصريين "النُّوتة الموسيقية"؟
- نعم.

- أحسنتِ -يا ابنتي- أيّما إحسان، أحسن الله إليك وإلى من علمك! وهذا مُنتهى ما أرجوه منكن لهذا المستوى، أن تُخرِّجْنَ في علم العروض وزنَ أية قصيدة وقافيتَها هذا التخريج؛ فأَنْصِتْن.
- كأنك أغربت!
- لَئِنْ أغربتُ لقد وقعت لكن على كنز نفيس؛ فجلوته مثلما تجلى المرآة، لترين في مرآته أعمالكن العروضية، مثلما ترين في مراياكن أعمالكن غير العروضية!
- وماذا في هذا الكلام الوحشي العُكلي؛ إنما يعرف الوحشيَّ من الكلام الوحشيُّ من الناس!
- لولا استبدالُنا به ما استوحشنا منه؛ فإذا أزلنا عنه حجاب استبداله ذقناه فعرفنا نَفاستَه، ولا والله لا تَجِدْنَ مثل حديث هذا العكلي عن معالجته نظم الشعر، ولا في شعر جرير والفرزدق والأخطل "لَات الشِّعْر وعُزَّاه وَمَنَاته"!

ألا ترين كيف قال: "أَبِيتُ" ليدل على طول إسهار عينه والناس نائمون، و"بِأَبْوَاب" ليجعل نفسه كالمتجسّس المتحسّس، و"أُصَادِي (أخادع)" ليدل على طول المراقبة، و"سِرْبًا" ليدل على همته البعيدة، و"مِنَ الْوَحْشِ (غير المستأنس) نُزَّعَا (غريبة)" لينبه على أن السرب شموس عصي شديد الإباء أي أن مراده من الشعر أصعب من مراد غيره، و"أُكَالِئُهَا (أراعيها، وأتابعها)" ليدل على حسن سياسته لها، و"حَتَّى

أُعَرِّسَ (أنزل عن ركوبي فأرتاح)" ليدل على أنه لا ييأس حتى يتمكن منها، و"بَعْدَمَا يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدَ (يبلغ الوقت أن يكون قبيل الفجر أو الفجر)" ليدل على أنه يشتغل بمراده عن الدنيا وما فيها، و"فَأَهْجَعَا" ليدل على أنه لو لم يتمكن من صيده ما التقى له جفنان ولا رقد جسم، ولَبَقِيَ ساعيًا ما بَقِيَ واعيًا!

- الله الله الله!
- أجل؛ هكذا ينبغي أن تقلن؛ فللَّه لا لغيره دَرُّهُ، ما أَشْعَرَه!
- وهذه التقسيمات كيف صنعتَها؟
- ألا تسألن لماذا ثم ماذا، حتى تسألن كيف وما شئتن من أسئلة!
- فلماذا إذن، ثم ماذا، ثمت كيف، ثمت متى، ثمت لا ثمت!
- ستتعلمن قريبا -يابنياتي- تأسيس تخريج أية قصيدة في علم العروض، على تصحيح أدائها اللغوي وأدائها اللحني.
- اللحني!
- نعم؛ فمثلما ينبغي لكنَّ عند تخريج أية قصيدة ألا تخطئن في شيء من لغتها، ينبغي ألا تخطئن في شيء من تلحين أدائها بما أعلمكن، ولاسيما أن تُمَيِّزْنَ بوقفاتٍ صاعدة أو هابطة مناسبة، بين أبياتها وأشطار أبياتها وتفعيلات أشطارها، هذه التي مَيَّزَتْها أقسامُ البيان. ولو خُيرتُ لاخترتُ التسجيل الصوتي، فأَمَّا وقد اضطررنا إلى التسجيل الكتابي فلا بأس بتسكين تلك الأقسام في

عيون مجدولة، ثم إخفاء حدود الجدول، لتبدو أقرب إلى الوجود الطبيعي الحر.

- ولكن ما هذان الخطان تحت "نُزَّعَا" و"أَهْجَعَا"؟
- هذان تنبيهان على قافيتَيْ بيتَيْهما.
- أهذا المقداران فقط هما القافية، وقد حفظنا:

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي؟

- رحم الله مَعْنَ بْنَ أَوْسٍ الْمُزَنِيَّ (ت: ٦٤ هجرية)، وهو مقطع قطعته في أخيه "لَعَمْرُ أَبِي رَبِيعَةَ مَا نَفَاهُ"، وقبله:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

عافاكن الله -يا بنياتي- من ظلم العقوق -فإنه معجَّل العقاب- وألهمكن الصبر حتى تعرفن من مسائل القافية، كيف اختلف الناس في كنهها -وما زالوا- فلا تتعجلن!

- وهذه العبارة المنثورة من تحت؟
- هي أشبه شيء بكتابة بيانات صاحب البطاقة الشخصية عن يمين صورته؛ ذلك التخريج التطبيقي بمنزلة الصورة، وهذا التخريج النظري بمنزلة البيانات؛ فكما لا تكتمل البطاقة ولا تُعتمد إلا بالصورة والبيانات جميعا معا، لا يكتمل التخريج العروضي إلا بالتطبيق والتنظير جميعا معا.



عَلَى عَرَفَةَ فِي ضِيَافَةِ آلِ الْبَيْتِ

ربما ظننتَ المشهد حفلة بسرادق من السرادقات الرسمية الخيالية!

فاعلم أنه مدخل مقامنا بعرفة لعام ١٤٢٩ في ضيافة مُطَوِّفينا الأشراف من جماعة الكاف!

اصطفّ رجالهم من عن يمين الداخلين وشمالهم، يحيوننا بالريحان على عادة العارفين، يسابق بعضهم إلى تحيتنا بعضا.

ولم يكد يستقر بنا المقام حتى امتدت موائدهم؛ فأي طعام كان، وأي شراب، في أية بشاشة!

يفرشون عيونهم لضيوف الرحمن، "رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"!



عَلَيَّ كَسْرُ الْمَحَامِيلِ!

من عموم البلوى في زماننا، حمل الهاتف مفتوحا؛ فإنك إذا أغلقته قال لك أخوك ولماذا تحمله، وإذا فتحته قال لك ولماذا لا تجيبني، وإذا أجبته قال لك ولماذا سمحت لي بتعطيلك؛ فلم يكن جحا وحماره وابنه أشبه بشيء منهم بك أنت وهاتفك وأخيك!

وكما يخشى على بعض الناس من الهواتف يخشى عليها منهم؛ فليس أقسى من مشغوف، يكابد ويعاند ويكره المكابدين والمعاندين، وهكذا كنت في محاضراتي واختباراتي، وما زلت!

إذا سمعت صوت هاتف طلبت صاحبه ثم طردته، وإن لم يفعل ألغيت المحاضرة ولم أعدها؛ حتى خاف الطلاب بعضهم بعضا أن يكون منهم، وإذا كان منهم ألا يجيبني! ولكنني كنت أجلس بمكتبي في وقت المحاضرة الملغاة، أقابل الطلاب، وأجيب أسئلتهم، وهيهات!

أما في اختباراتي فأصنع ما لم أكن أحسبني أصنع وكأنما يتنزل علي وحي الحجاج بن يوسف الثقفي، أطالب الطلاب بإغلاق هواتفهم، وأحذرهم إن وجدت أحدها مفتوحا لأضربن به عرض الجدار؛ فأجد، وأفعل!

نعم! وأحذر أبنائي أن يفعلوا لكيلا يفعل بهم مثل ما أفعل؛ فصاروا كلما تعثر أي منهم في إجابة اختبار قال لي هذا ذنب الهواتف التي كسرتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله!



عِيدُ التَّحْرِيرِ

اليوم الأربعاء (٢٥/ ١/ ٢٠١٢)، هادئ تماما فيما دون ميدان التحرير من مناطق القاهرة. عجب السائق بي إليه من بقاء الناس في بيوتهم: كيف لا يخرجون ولو ليعرفوا ماذا يحدث! ونسي أنه ذكر لي منذ قليل أنه لم ينقل اليوم أحدا إلا إلى ميدان التحرير؛ فشاب إخلاصه الوطني شوبا ما!

ثم ظهر التحريرُ غَصَّانَ بالمحتشدين، ولا سيما أنني دخلت إليه عفوا من جهة منصة الإخوان بقلب الميدان، وعليها أهازيج النصر

وأعاجيبه، حتى شهدت عقد قران شابين عقدا وافيا بعبارات الإيجاب والقبول، والدعاء الجماعي بالبركة يزلزل الميدان!

ثم انصرفت إلى منصة اللِّيبرالِيِّين بجهة المجمع، فإذا شيخ أزهري يصخب على شيخ الأزهر بما يخلعه من منصبه، ثم أم أحد الشهداء تكرر إصرارها على دم ابنها، ثم أحد شعراء الثوار الذين أشعلوا الميدان حماسة في أثناء الثورة، يهتف بشعارات مُرتَّبة، يبدؤها بقوله: "كَبَّرْ وَانَا اكَبَّرْ"، ناظرا بطرف عينه إلى منصة الإخوان، ثم يوجه كلامه إلى الكَتاتنيّ، ليقول العبارة من الوعيد بمثل أن مجلس الشعب هو مجلس هؤلاء المحتشدين، فإما وإما، ويترك للمستمعين بعد كل عبارة من عباراته أن يقولوا عبارة "يا كتاتني"، وهو معروف بهذا النوع من الهتافات المقسمة بينه وبينهم.

ثم انصرفت إلى منصة الاشتراكيين والوفديين أمام كِنْتَاكِي، فإذا هتاف بالمجلس العسكري والمشير طنطاوي أَنِ ارحلوا، ربما وصل إلى إعدام المشير، وفي الساحة صورة كبيرة لمبارك بين العادلي والمشير، وكل منهم قد أحاطت برأسه مشنقته! ومن أعجب ما سمعت شابٌّ يذكر أنه منسق بعض الائتلافات يشكو إلى الناس الشيخ حازم أبو إسماعيل الذي آذاه أنصاره يوم اشتعال شارع محمد محمود.

ثم انصرفت إلى ركن السلفيين الهادئ، فإذا الخيام ومن فيها، وإذا خلفهم لافتةٌ كبيرة بما اجتمع عليه الإسلاميون جميعا يوم ٢٢/ ١/ ٢٠١٢، من المشاركة في عيد التحرير.



فِي رَكْبِ الآيِبِينَ

سعادةَ الأستاذِ الدكتورِ سليمانَ الرّحيليّ، عميدِ كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

سعادةَ الدكتورِ إبراهيمَ بنِ حمزةَ الصُّبَيْحيِّ، رئيسِ قسم اللغة العربية،

سعادةَ إخواني الأفضلينَ، أساتذةِ القسم،

"سَلامٌ عَلَيْكُمْ، طِبْتُمْ " مساء، وطاب مسعاكم إلينا!

بسم الله – سبحانه، وتعالى! – وبحمده، وصلاةً على رسوله، وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم، حتى نلقاهم!

وَكُلُّ مُسافِرٍ سَيَؤوبُ يَوْمًا إِذا دَنَتِ الدِّيارُ مِنَ الدِّيار

إِسْحاقُ المُوْصِليُّ

ما أَغْمَضَ قولَ الشيخ التونسي الذي أُصلي معه دائما:

-لَنْ تَكونَ بَعْدَ أَنْ تَؤوبَ مِنَ المُدينَةِ، مِثْلَما كُنْتَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَها!

تُرى كيف كنتُ، أم كيف أكونُ، أم كيف أؤوبُ!

أيُّ شيخٍ هذا!

لا أحسبه رآني من قبل، ولا أحسبه يراني من بعد، ولا أحسبني جَهِلْتُ بين يديه مكانةَ المدينة المنورة من رسول الله – صلى الله عليه، وسلم! – ولا مكانتَه منها، ولا ترغيبَه فيها، ولا ترهيبَه عنها!

أَهُوَ حَدْسُ العالِمِ، أم خَيالُ الفَنّان، أم كَشْفُ الصوفيِّ!

أتراه انتبه إليَّ أولَ مجيئي؛ فأنكر ملامحي المعقودة، ثم انتبه إليَّ بعد حين؛ فعرف ملامحي المبسوطة، وأيقن من أثر الجوار الشريف، ثم رآني مسؤولا عن مَنْ قِبَلي، أن أؤوب إليهم بمعجزة بَسْطِ الملامح المعقودة؛ فأيقن من وَشْك إيابي!

ألا إن جوار رسول الله – صلى الله عليه، وسلم! – لكفيل إذا أُخِذَ بحقه، أن يُطَهِّرَ به الحقُّ – سبحانه، وتعالى! – القلوب والعقول؛ كيف لا ونحن نعرض عليه أنفسنا كلما مررنا من أمامه مُسَلِّمينَ، موقنين من أنه يعرفنا ويرد سلامنا!

وَما حَقُّ هذَا الجِْوارِ الشَّريفِ، إِلَّا الصَّبْرُ عَلى الِاقْتِداءِ.

ثم ألا إن المُقام في حرم المدينة المنورة، لكفيل إذا أُخِذَ بحقه، أن يبارك به الحق – سبحانه، وتعالى! – في الأرواح والأشباح؛ كيف لا وقد أَوْرَثَها دعاءُ رسول الله – صلى الله عليه، وسلم! – بَرَكَةً مُضاعَفَةً، وَسَلامَةً مُسْتَمِرَّةً!

وَما حَقُّ هذَا المُقامِ الشَّريفِ، إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى اللَّأْواءِ.

وعلى رغم شهرة أن الأخلاق – ومنها الصبر – طبائعُ ثابتة غيرُ مُنْتَقلة، كما في قول أبي الطيب الذي صار مثلا:

وَتَأْبَى الطِّباعُ عَلَى النّاقِلِ

بَشَّرَنا رسولُ الله – صلى الله عليه، وسلم! – بالقدرة على تغييرها، في قوله: " إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ "؛ فالحِلْمُ الذي هو خُلُقٌ في طبيعة الحَليم، يستطيع الجَهول أن يكتسبه كما يكتسب العلم؛ فينبغي إذن أن يستطيعَ الجَزوعُ أن يكتسب الصَّبْرَ إذا تَصَبَّرَ، كما قال بشار:

إِذا شِئْتُ تَصَبَّرْتُ وَلا أَصْبِرُ إِنْ شِيتُ

ألا إن الصبرَ على الاقتداء النبويِّ والصبرَ على اللأواء المَدَنيَّةِ، لشطران تَلْتَئِمُ بهما رَحِمُ أهل المدينة – جعلنا الله جميعا منهم! – التي يَصِلُ الحَقُّ – سبحانه، وتعالى! – مَنْ وَصَلَها، ويَقْطَعُ مَنْ قَطَعَها. وليس الواصِلُ بالمُكافِئِ، بل الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُه وَصَلَها؛ فمن ثم ينبغي لكل مسلم من أهل المدينة، أن يُسابِقَ أخاه إلى ذَيْنِ الصَّبْرَيْنِ. ولكن الله " لا

يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ "، ولم يكن أهلُ المدينة خيرَ الأَهْلينَ، إلا بوَقارِ الإيمان في قلوبهم وتَصْديقِ الأمر والنهي في أعمالهم؛ فمن ثم ينبغي لكل مسلم من أهل المدينة، أن يُصَبِّرَ أخاه، وألا يقبل منه أن يكون شَرَّ الأخوين، بل يحبّ له ما يحب لنفسه.

"لقد تَشَرَّفْتُ هذه المدةَ الفاخرةَ على سائر الظروف الزمانية، بالعمل في المدينة المنورة، مُتَقَرِّبًا إلى جارنا فيها، صلى الله عليه، وسلم! ولولا رعايةُ أسرتي المنقطعةِ بالقاهرة، واستحالةُ إقامتِها معي - ما آثرتُ على هذا الجوار الشريف، ولا على تلك المعيشة المباركة:

وَهَلْ يَسْتَوي جارُ النَّبِيِّ سَلامَةً وَجارُ لَظَى الْوَيْلاتِ لَوْلا وُجوبُها

فَإِنَّ صِغارِي يَلْهثونَ وَأُمُّهُمْ عَلى وَضَمٍ وَالْأَرْضُ ضاقَ رَحيبُها".

ذاكم نصُّ استقالتي التي تقدمت بها إلى سعادة الدكتور رئيس القسم، ولن يمنعني اختلافُ الأحوال اختلافا يسيرا، من أن أدعي أنني نطقت فيها بلسان أخويَّ الكبيرين الأفضلَيْنِ في رَكْب الآيبينَ، الدكتورِ مرعي والدكتورِ سيد؛ فلم نكن لننسى أننا نعلم أبناءَ المدينة المنورة وبناتِها، بل كنا نتقرب بذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه، وسلم! - حتى إذا ما التقينا على الحوض، انْتَمَيْنا بذلك إليه، وتَدَلَّلْنا عليه!

ولقد اطلعت في أثناء ذلك من أساتذة القسم، على مذهبين:

١ مذهب سعادة رئيس القسم الحاضر، الدكتورِ إبراهيمَ الصُّبَيْحيِّ، وهو مذهب هُدوئيٌّ، يفتش عن محاسن الأحوال القائمة، لتحصيل بعض المكاسب الممكنة.

٢ ومذهب سعادة رئيس القسم الماضي، الدكتورِ مُفَرِّحِ السَّيِّدْ، وهو مذهب ثَوْريٌّ، يفتش عن محاسن الأحوال المتغيرة، لتحصيل بعض المكاسب المستعصية.

وعليهما يَتَوَزَّعُ سائر أساتذة القسم. ولا أنكر أنني معجب دائما بمذهب الثوريين، ولكنني أقر الآن وإحدى رِجْليَّ في القاهرة، أنه لا غنى للثوريين عن الهدوئيين، ولا للهدوئيين عن الثوريين؛ فلينصت كل منهما، إلى صوت المذهب الآخر، قبل إنصاته إلى صوت مذهبه – يسمعْ كلام الحقيقة الناصعة، ويظفرْ برونق التطور الدائم!

ولقد كنت نفرت من حُفْرَةِ أساتذة القسم (غرفتهم)، التي نحتشد فيها، ولا تتسع لنا، ثم أبى الله إلا أن يخرجني من ضيق المكان، إلى فَرَجِ الأخلاق الذي أشار إليه عمرُو بن الأهتم الساحرُ البيانِ، بعَكْسِ قوله:

لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلادٌ بِأَهْلِها وَلكِنَّ أَخْلاقَ الرِّجالِ تَضيق

فلقد ذكرت غرفة أساتذتي بمبنى كلية دار العلوم القديم، التي كانت ملتقاهم كلِّهم جميعا معا، صغارا وكبارا:

يجلس محمد حماسة عبد اللطيف وأحمد كشك وشعبان صلاح إلى علي النجدي ناصف وتمام حسان، ويجلس عبد الحميد شيحة وعبد اللطيف عبد الحليم وصلاح رزق إلى عبد الحكيم بلبع وأحمد هيكل، ويجلس شفيع السيد وعبد الواحد علام وأحمد درويش إلى محمد غنيمي هلال وعبد الحكيم حسان، ويجلس سعد مصلوح ومحمد فتيح ومحمد حسن عبد العزيز إلى إبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب، ويجلس عبد الله شحاتة ومحمد بلتاجي حسن ومحمد نبيل غنايم إلى محمد أبو زهرة وعلي حسب الله، ويجلس عبد الحميد مدكور ومحمد السيد الجليند وعبد الله الشرقاوي إلى محمد كمال جعفر وحسن الشافعي، ويجلس عبد الرحمن سالم وشفيق أبو الخير وأحمد كامل إلى أحمد شلبي وعلي حبيبة.

ذكرتُ تلك الغُرْفَةَ، ولم أُدْركها، وكأنْ قَدْ!

ذكرتُها بكلمة أستاذنا الدكتور أحمدْ هيكلْ -رحمه الله!- آخرِ وزراء ثقافتنا المحترمين:

-جالِسُوا الْأَساتِذَةَ، وَتَعَلَّموا مِنْهُمْ كَيْفَ يَتَكَلَّمونَ، وَكَيْفَ يَضْحَكونَ!

واها، يا أللهُ!

ما أَجَلَّها كَلِمَةً، وَما أَدَلَّها!

أيةُ نيةٍ طيبةٍ كَمَنَتْ فيها، وأيةُ مودةٍ خالصةٍ، وأيةُ رغبةٍ صادقةٍ! ذَكَرْتُ تلك الغرفةَ بِهذه الكَلِمَةِ؛ فإذا حُفْرَةُ أساتذة قسم اللغة العربية،

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، من جامعة طيبة، بالمدينة المنورة - رَوْضَةٌ من رياض الجنة، وإذا الأساتذةُ فيها ملائكةٌ على أبواب النعيم بترتيبِ أسمائِهِمُ الهجائيِّ:

فَأُجاذِبُ الدكتورَ أبا شُعَيْبٍ طَرَفًا من أخبار الأَمانَةِ والأُمَناءِ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ بَدْرًا طَرَفًا من أخبار الذِّكْرِ والذّاكِرينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ بَراءً طَرَفًا من أخبار التَّلَطُّفِ والمُتَلَطِّفينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ التَّوايَتيَّ طَرَفًا من أخبار السِّياسَةِ والسّاسَةِ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ حَسَنَيْنِ طَرَفًا من أخبار التَّحْقيقِ والمُحَقِّقينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ سَيِّدًا طَرَفًا من أخبار الغَزَل والغَزِلين فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ شعبانَ طَرَفًا من أخبار المَشْيِ والمَشّائينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ عَبْدَ النَّعيمِ طَرَفًا من أخبار الوَطَنيَّةِ والوَطَنيّينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ عِصامًا طَرَفًا من أخبار التَّوَكُّلِ والمُتَوَكِّلينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ عَليًّا طَرَفًا من أخبار الابْرِنْشاقِ والمُبْرَنْشِقينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ قنديلا طَرَفًا من أخبار الظَّرْف والظُّرَفاء فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني، ثم أُجاذِبُ الدكتورَ هَنادِيَّ طَرَفًا من أخبار الحَديثِ والمُحَدِّثينَ فَيَطْرَبُ وَيُدْخِلُني!

فإذا أنا في بُحْبوحَةِ الفَوائدِ المُتَشابِهَةِ يُعَظِّمُ بَعْضُها بَعْضًا!

ولكنني لَمّا هاتفني بعض من عاش أكثر حياته بالمدينة المنورة، من تلامذتي المصريين، يطمئن عَلَيَّ:

-هَلْ وَجَدْتَ بَرَكَةَ الْمَدينَةِ؟

حِرْتُ، ولجْلَجْتُ، ثم تَخَلَّصْتُ من حَرَجِ الموقف بكلام عام!

ثم لما خَلَوْتُ إلى نفسي، عَجِبْتُ لها، وأَنَّبْتُها:

ذَهَلْتِ عَنْ نَفَحاتِ اللهِ وَاحْتَبَسَتْ شَهادَةُ الْحَقِّ وَاخْتانَتْكِ أَخْلاق

وَطيبُ طَيْبَةَ ماءُ الرّوحِ شَمْسُ فَتيلِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ يا مَأْوى مَنِ اشْتاقوا

فَحِرْتِ تَهْذينَ أَلْفاظًا مُلَجْلَجَةً وَأَنْتِ تَدْرينَ أَنَّ الرِّزْقَ أَرْزاق

وإذا أنا قد حججتُ مرتين ولم أمكث بالمدينة المنورة أكثر من بِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وأَحْجَجْتُ زوجتي، واعتمرتُ مرات، وأَعْمَرْتُ أسرتي، وصليت بالحرم وتَفَيَّأْتُ ظلال روضته مرارا، وسلمت على رسول الله – صلى الله، عليه وسلم! – مرارا، وطابَقْتُ خطا المهاجرين والأنصارِ – رضي الله عنهم! – مرارا، وقضيت بعض حقوقي، وقرأت آلاف الصفحات، وأخرجت كتابين جديدين ومقالين علميين، وناقشت رسالتين جامعيتين، وحضرت مؤتمرا دوليا، وحاضرت محاضرة عامة، وواصلت عن شبكة الإنترنت طلابَ علم وفن من أرجاء الدنيا، وشاركتهم فيما يعملون، وحظيت ببعض جوائزهم، واستقامتْ لأبنائي طريقُ العلم حتى حظي بعضهم ببعض الجوائز الدولية.

فلله الحمد والشكر، حمدا وشكرا دائمين، متلازمين، كثيرين، طيبين، مباركا فيهما، مباركا عليهما، كما يحب ربنا ويرضى!

وجزاكم الله خيرا، عني وعن أخويَّ الكبيرينِ الأفضلينِ في رَكْبِ الآيِبين، الدكتور مرعي والدكتور سيد – وجمعنا بكم على خير!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!



فِي وَدَاعِ الدُّكْتُورِ فَاضِلْ صَالِحِ السَّامَرَّائِيْ

يجري الآن قسم اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس، على استزارة أحد كبار علماء اللغة والأدب والنقد كل فصل، حرصا على نشاط القسم الفني والعلمي، وقد كان زائرنا لهذا الفصل (خريف ٢٠١٢م)، هو الأستاذ العراقي المعروف الدكتور فاضل صالح السامرائي، ولم نكد نجد طعم الزيارة حتى دُعينا اليوم (الاثنين ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٢م) إلى الاحتفال بتمامها!

قلت للدكتور فاضل: ما أسرع ما مر الفصل على تلامذتكم!

فقال: بل ما أبطأ ما مر على المفرد المنقطع!

التقينا للغداء في زاوية خاصة من مطعم أعضاء هيئة التدريس بمبنى إدارة الجامعة: أحمد الحنشي، وأحمد يوسف بن غدور، وحمود الرمحي، وحواس بري، وخالد الكندي، وزاهر الداودي، وزاهر الغسيني، وسعيد جبر أبو خضر، وسناء الجمالية، وعبد الجبار القزاز، وعبد الحليم حامد، وعبد العزيز الصيغ، وعلي الكلباني، وفاضل صالح السامرائي، ومحمد جمال صقر، ومحمد عبد الفتاح العمراوي، ومحمد عبد الله زروق، ومحمد فاضل صالح السامرائي قادما من جامعة الشارقة، ومحمد المعشني، ومحمد نور المنجد، ومحمد الهادي الطرابلسي، وهلال الحجري (رئيس القسم).

كان عمال المكان قد فرقوا الموائد، فأمرهم الدكتور هلال فجمعوها، فكنا في أثناء ذلك نتنازع النوادر، حتى عجب الدكتور حواس لصبر الدكتور الطرابلسي على الإنصات!

تَحَلَّقْنا حول الدكتور فاضل، نأكل ونشرب ونقص ونعجب، حتى التفتنا إلى الدكتور هلال يحتفي بالدكتور فاضل:

لقد تشرفنا بكم -يا أستاذنا- واستفدنا نحن وطلابنا جميعا، بل سائر العمانيين في بلادهم، الذين رأينا كيف شدوا الرحال إلى محاضرتكم بالنادي الثقافي، ولم ينقطع رضاهم عن حظوتنا بكم! وإنه ليسرنا أن تقبلوا شعار جامعتنا ذكرى مودتنا الباقية!

قال الدكتور فاضل:

شكر الله لكم، وجزاكم عني خيرا! لقد غمرتموني بكرم أخلاقكم وصدق مودتكم، وبالغتم في تكريمي حتى تجاوزتم ما أستحق!

ثم هَمَّ الجمع أن يفترق، فبدا لي، فقلت:

اسمح لي يا دكتور هلال!

أستاذنا الدكتور فاضل السامرائي، بارك الله فيكم، وشكر لكم، وأحسن إليكم! لقد شرفتمونا، وآنستمونا. وإنه ليسرني أن أذكر الآن أول ما عرفتكم بكتابكم "معاني النحو"، الذي اجتهدتم فيه اجتهادا كبيرا أن تستقصوا من مسائل علم المعاني ما تُنَزِّلونه على مسائل علم النحو، فكنتم كأنما تجيبون الدكتور أحمد مطلوب إلى رغبته وهو البَلاغيّ العراقي الكبير، حين قال: سنظل نُدَرِّس علم المعاني حتى ينتبه إليه النحويون!

لقد بلغ من استطرافي الكتاب أن رحلت سنة ٢٠٠٠م، إليكم بجامعة الشارقة في شقتكم الفاخرة على بحيرة الملك خالد، أجادلكم في الاكتفاء في تعليم مسائل علم النحو بهذه المسائل التي نَزَّلتم عليها مسائل علم المعاني؛ فأبيتم عليَّ بأن من مسائل علم النحو ما لا مورد فيه لمسائل علم المعاني، ومَثَّلْتُمْ بأصل وضع الجملة العربية؛ فرأيتُ إمكان أن يشفَّ هذا الأصل عن معنى خصائص اللغة العربية المتميزة من سائر اللغات والتفكير العربي المتميز من سائر التفاكير!

ولقد حرصتُ على تعليق تلامذتي العمانيين بكتابكم هذا "معاني النحو"، حتى ذهبت معهم نفتش عنه بمعرض مسقط الدولي للكتاب،

نفترق لنجتمع فنرى ماذا بلغ التفتيش بكلٍّ منا! ثم حرصتُ فيما بعد على أن أنهج نهجه لتلامذتي المصريين إرواءً لجفاف المسائل النحوية المُصْمَتَة، فارتاحوا له كثيرا!

وإنما تَحَبَّبْتُ إليكم؛ فليس أحبَّ إلى العالم من رواج منهجه!

واليوم إذ يجدُّ بكم الإياب إلى العراق الحبيب، أسأل الله أن يصلح أحوالكم، ويتم عليكم نعمته، ويثبتكم على الحق، حتى يعود العراق سيرته الأولى بلد فن وعلم وحضارة، آمين!



قِصَّةُ الْمُنَمْنَماتِ

أواخر تسعينيات القرن الميلادي العشرين هاتفني بمدينة مسقط العاصمة العمانية، الأستاذ الدكتور أحمد درويش عميد كلية الآداب عندئذ بجامعة السلطان قابوس، في أبياتٍ طَلَبَها منه معالي محمد الزبير مستشار جلالة السلطان قابوس، لِتُحفر في قُبَّة مجلس الضيفان من قصر له جديد.

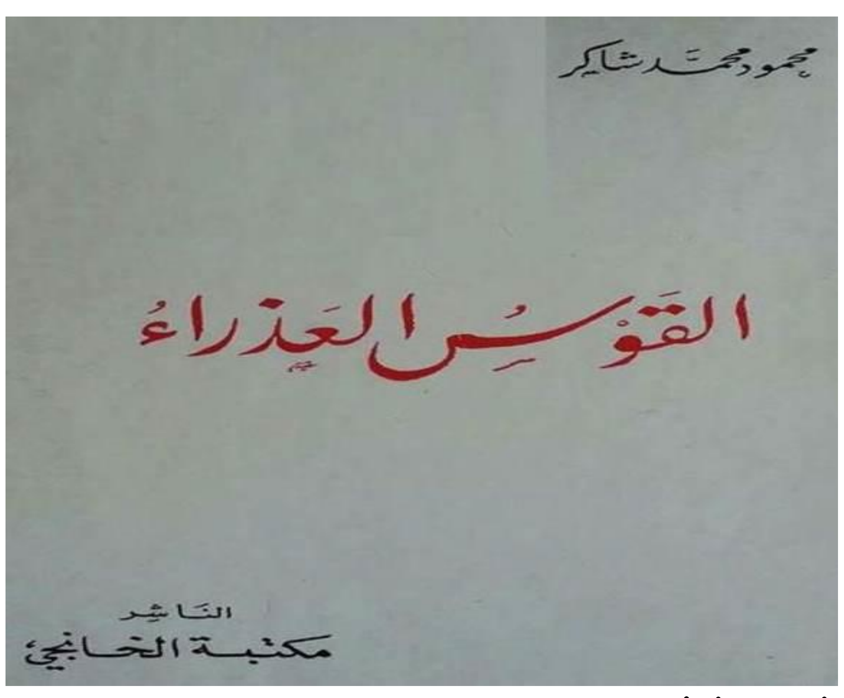
ذهبت في كتب الأدب العربي أُنقِّب عما يصلح لذلك، ثم فجأة تذكرت "الصداقة والصديق"، كتاب التوحيدي المرصود للإخوانيات الذي قرأته من قديم.

هاتفت الأستاذ الدكتور أحمد درويش، وجعلت أنشده ما ظننت أنه مناسب وهو ساكت؛ حتى إذا ما ذكرت له كتاب التوحيدي ابتهج به راضيا مستغنيا عما سواه!

ناجيت نفسي في أن أعود إلى ما قرأت من كتب الأدب العربي، فأستخلص منها كل ما أتخيل أن تتزين به جدران المجالس العربية من نصوص النثر الشريف والشعر النفيس الموجزة الجزلة، ورأيتها مثل منمنمات الفسيفساء المغروزة في طوايا جدران المجالس العربية.

نشرت مما اجتمع لي منها بملحق جريدة الشبيبة العمانية (شرفات)، وعلى مواقع إلكترونية -وما زلت- على أنه "منمنمات على جدران المجالس العربية، انتزعها الدكتور محمد جمال صقر"، حتى اكتمل منها كتاب طريف أرجو أن يتاح قريبا لزوار موقعي الأفاضل.

كان من كرامات المنمنمات التي كنت أكتفي في نشرها بتحقيقها وضبطها وترقيمها وعنونتها، أن تمني عليّ بعض إخواني أن أتجاوز إلى تأملها بما ينبغي لها من ثَقابة النظر الناقد؛ فخرج لي مقال "حسن سرقة الشعر"، المتاح على موقعي، وقطعة لا بأس بها من كتاب "مهارات اللغة العربية" الأول، المعتمد بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية من جامعة السلطان قابوس؛ فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات!

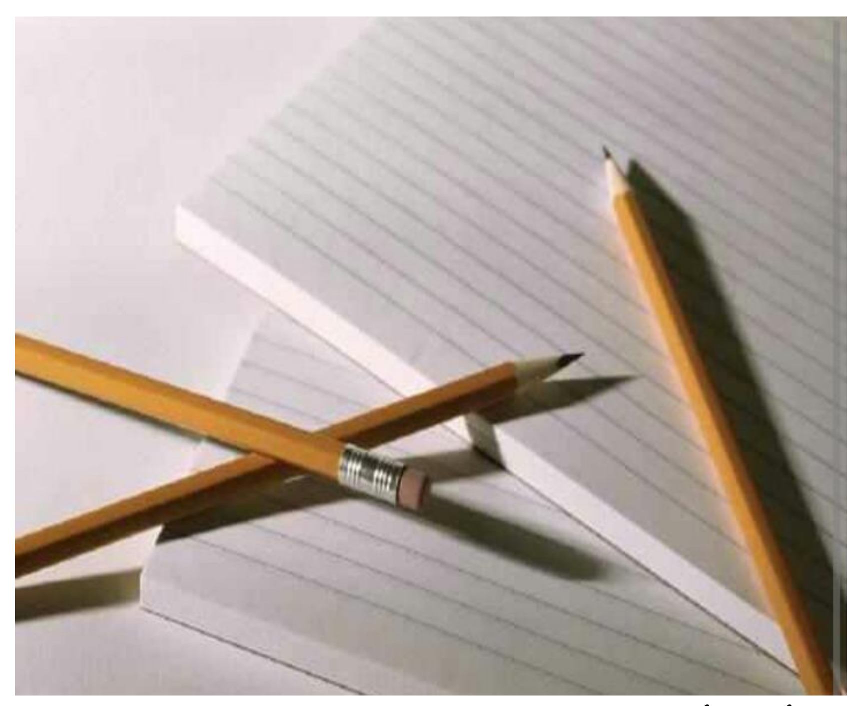


الْقَوْسُ الْعَذْرَاءُ

على أحد أرصفة بيع الكتب من القاهرة الفاخرة، عثر محمود حسن إسماعيل على نسخة من القوس العذراء قصيدة محمود محمد شاكر الطويلة النفيسة؛ فدهش بها عن نفسه، ولم يهتد إليها إلا في مجلسه!

وهناك اطلع شاكر من إسماعيل على شاعر فحل. هكذا قال لي عنه طَرِبًا بالإشارة إلى موضعٍ من بيته كَتَبَ فيه بعض قصائده. ولم ينس إذ رغب إلى إسماعيل أن يُعنوِن له إحدى قصائده، فصادف عنوانها حَبَّة قَبُوله، فأكبره بعنوانها، بعنوانها أكبره؛ وما زلتُ أنا منذئذ أُكْبِر العنونة!

"رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"؛ صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ!



كَاتِبَةٌ نَاشِئَةٌ

تُرى... ما الذي يغري كاتبة ناشئة بأن تبني باكورة منشوراتها على أن تكون رسالة مخبوءة من البطلة إلى البطل؟

لا ريب في أنها بنية معروفة ومستعملة، غير أنها ربما لم تكن مطروقة في بواكير المنشورات، إلا إذا استولت على أصحابها فكرة التطهُّر بالكتابة؛ فمن ثم يتيحونها من داخل أعمالهم مثلما أتيحت لهم من خارجها!

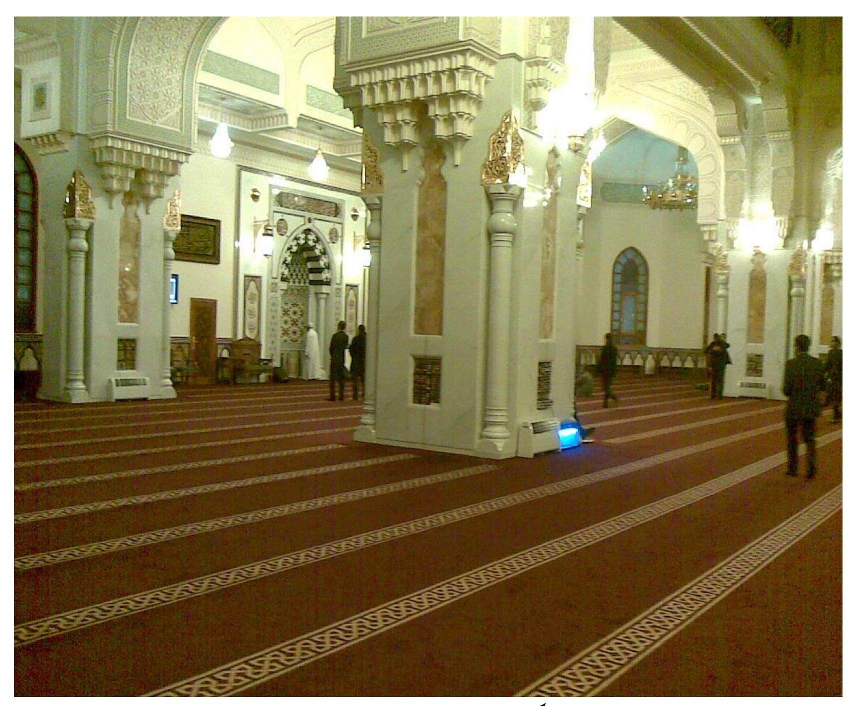
في هذا العمل سيرة شابة عربية عمانية مسلمة مسنونة المشاعر، متمردة على التقاليد، متطلعة إلى كمال وجودها بالامتزاج بعشيقها،

أتاحت لها ظروف سفرها الدراسي إلى أوروبا أن تعثر على بغيتها؛ فأبت إلا أن يكون شابا عربيا يَمَنِيًّا مسلما، تُمازجه في ماضيه مثلما تُمازجه في حاضره!

إنها شابة متمردة على التقاليد، نعم، ولكنها ذائبة في أهلها وبلدها! وهذا نمط من التمرد العطوف طريف جدا ولطيف كذلك جدا، لا يفضي إلى عواقب غيره الوخيمة، بل يتكشف دائما عن مظاهر من التضحية والبذل والإحسان والوفاء، لا تمر على متلقيها من غير أن تترك في نفسه علامة على الطريق الصحيح.

ولقد انقسمت السيرة على بَطَلَيْها -ولاسيما بطلتها- فلا أحداث إلا ما حدث لهما أو يحدث أو يُرجى أن يحدث، ولا ذكريات، ولا مراسلات...، غير أن الكاتبة أفرطت أحيانا فيما استطردت إليه من ذلك، كما في إكثارها من شعر محمود درويش، ومن تفاصيل نظام القرية العمانية الزراعي، ومن الأساطير والعلوم القديمة...

توزع الكلام في ذلك كله على الأسطر، ولا تتابع بينه، وكأنما توقِّعُه توقيعا، وتحمل القارئ على أن يميل معه، ولا تتركه يميل مع القارئ، وجها آخر لطيفا من التمرد على التقاليد، يُلْبِسُه بذلك النمط من الشعر الذي تعلقت به وأكثرت منه!



كَيْفَ تَدْعُو إِلَى الْقِرَانِ أَدِيبًا!

دعاني الأستاذ محمود زكي تلميذي النجيب، إلى عقد قرانه بمسجد الرحمن الرحيم من القاهرة الفاخرة أمس الجمعة ١٤٣٣/ ٣/ ٢٤)هـ=١٧/ ٢/ ٢٠١٢م)، فإذا جامع حديث بديع فخم!

صلينا المغرب، ثم نزلنا إلى قاعة العقد، فلما استقر بي مكانٌ دعاني الأستاذ محمود إلى كلمة العقد، وكان من قبلُ ذَكَرَ لي رغبته في أن أُلْقِيَها، فقلت له: في كم يمكنني أن أتكلم؟ فقال: في خمس دقائق أو سبع أو عشر! فتقدمت إلى المنصة، واستأذنت الشيخ مجدي المأذون، بما ورطني فيه الأستاذ محمود؛ فأسرع إليَّ بالمكبر وكأنه يعينه عليّ !

وقفت، فقلت:

سلام عليكم طبتم مساء -يا إخوان- وطاب مسعاكم إلينا!

بسم الله -سبحانه، وتعالى -!وبحمده، وصلاة على رسوله وسلاما، ورضوانا على صحابته وتابعيهم، حتى نلقاهم!

قال الحق -سبحانه، وتعالى!- في الآية الحادية والعشرين من سورة الروم: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ".

لقد جعل الحق -سبحانه، وتعالى!- الزواج آية ظاهرة من آيات حكمته العظيمة وعلمه المحيط، وأشار في آخر كلامه إلى اشتمال آية الزواج في نفسها، على آيات باطنة يستنبطها من فكر فيها؛ فلنعد معا إلى كلامه -سبحانه، وتعالى!- عسى أن نقف منه على آيات الزواج الباطنة. لقد جعل الحق -سبحانه، وتعالى!- الزواج من آياته المُحَلاة بالإضافة إلى نفسه، لا الآيات المُخْلاة من هذه الإضافة؛ ففضله مثلما فضل الصيام حين قال فيه: "... إِلَّا الصِّيَامَ؛ فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"- على رغم أننا نتعبده بالعبادات كلها! ثم نبهنا بقوله: "لَكُمْ"، على أنه لمصلحتنا- وبقوله: "مِنْ أَنْفُسِكُمْ"، على أنه بين المتكافئين، ولا سيما أن كلمة أزواج جمع زوج، والزوج من له امرأة من الرجال ومن لها رجل من النساء، كلمة دالة على مساواة العربية بين الرجل والمرأة في هذا المقام الخطير- وبقوله : "لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا"، على أن تحري المصلحة وتحري الكفاءة مفضيان إلى

سكون الزوجين كل منهما إلى الآخر، وارتياحه له- وبقوله: "وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"، على إفضاء ذلك السكون إلى المودة، بما في السكون من اطمئنان ومن متعة، ولن تصح مودة من غير رحمة.

لقد دعاني الأستاذ محمود زكي تلميذي النجيب، إلى كلمة عقده، فعجبت له: يختارني أنا الأديب اللغوي، على أساتذته وأساتذتي الأجلاء العلماء الفقهاء الدعاة !

ثم خطر لي أنه ربما عملت فيه عملها قصيدتي "وثيقة زواج مصرية"؛ فظنني مأذون الناحية لا الشيخ مجدي؛ فاسمعوها واحكموا بيني وبينه:

"وَثِيقَةُ زَوَاجٍ مِصْرِيَّةٌ
هَيَّا يَا مَيْدَانَ التَّحْرِيرْ
هَيَّا يَا ذِكْرَى الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينْ
قُولَا وَلْيَشْهَدْ كُلُّ الْمِصْرِيِّينْ
زَوِّجْنِي نَفْسَكَ يَا مَيْدانْ
أَقْبَلُ يَا ذِكْرَى
بُورِكَ فِي الذِّكْرَى لِلْمَيْدَانِ
وَلِلذِّكْرَى فِي الْمَيْدَانْ
لِلشَّعْبِ الْمِصْرِيِّ الْوَلْهَانْ."

والقِصَرُ كما تعرفون مِنْ شِيَم الوثائق! فلما اطلع عليها بعض كبار الكتاب، دعاني إلى أن أُزَوِّج الميدان من الحرية لا من الذكرى الأليمة! فقلت: كيف أزوجه الحرية دون العدالة، أم يحرم عليه الجمع بين الأختين! فقال: زوّجه الحرية والعدالة إذن، وليكن عرسا تاريخيا بديعا!

وجدت دهشة بعض الحاضرين؛ فملت إلى المأذون عن يساري: هل أطلت؟ فما نَفَى ولا أثبت! ونظرت في ساعتي، ثم أكملت!

ثم خطر لي أنه ربما كان الأستاذ محمود زكي أقوى ذاكرة وأوسع اطلاعا، فعثر على قصيدة لي، كنت أَرْقِي بها الأعزاب قديما- والأعزاب جمع عَزَبٍ، والعَزَبُ من لا امرأة له من الرجال ومن لا رجل لها من النساء؛ فهو ضد الزوج- زاعما أنه من كررها مرارا خاليا ليلا أوشك أن يتزوج أو أن يُجَنّ؛ فاستدفع بها عن الأعزاب مثل ما كان فيه من بلوى؛ فاسمعوها واحكموا بيني وبينه:

"رُقْيَةُ الْعَزَبِ

وَبَعْدُ يَا مَمْلَكَةَ الْأَزْوَاجْ

نَرْمِيكُمُ الْيَوْمَ بِزَوْجٍ يُسْقِطُ النِّظَامْ

يُعِيدُكُمْ إِلَى الْفَعَالْ

يُبْعِدُكُمْ عَنِ الْكَلَامْ

قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا أَنْ تَظَلُّوا تَسْمَعُونَ

كَيْفَ كَانَ الْأَوَّلُونَ يَفْعَلُونْ

وَتَعْجَبُونْ

فَإِنْ أَرَادَ وَاحِدٌ أَنْ يَتْرُكَ الْكَلَامْ

هَبَّ لِتَوِّهِ مُصَفِّقًا

وَقَالَ يَا سَلَامْ

فَيَا سَلَامْ

قَدْ صَارَ مِنْ مُجَاهِدِي الْأَزْوَاجْ

بِيَا سَلَامْ

أَنْجَبَ أَعْلَامَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءْ

بِيَا سَلَامْ

عَذَرْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامْ

فَقَدْ رَأَيْتُ قَادَةَ الْكَلَامْ

يَرَوْنَ أَنَّ مَخْرَجَ الْإِنْسَانِ

مِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ

هُوَ السَّلَامْ

وَبَعْدُ يَا شِرْذِمَةَ الْأَعْزَابْ

فَمَا لَكُمْ مُسْتَضْعَفِينَ هَكَذَا بِدَوْلَةِ الْأَزْوَاجْ

قَدْ يَجْلِسُ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ بَيْنَهُمْ

بِلَا سَلَامٍ أَوْ كَلَامْ

يَخَافُ غَضْبَةً تَجِيءُ بَعْدَ مَزْحَةٍ لَا يَرْتَضُونَهَا

كَأَنَّمَا الْوَاحِدُ مِنْكُمْ لَمْ يَزَلْ بِرَوْضَةِ الْأَطْفَالْ

كَأَنَّمَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ نَاظِرٌ لِرَوْضَةِ الْأَطْفَالْ

مَا هَذِهِ الْأَحْوَالْ

أَأَنْ رَأَوْكُمْ فِي شَقَاءٍ دَائِمٍ

وَأَنَّكُمْ فِي وَحْدَةٍ وَوَحْشَةٍ

عُزُوبَةٍ مُزْمِنَةٍ

يُؤَنِّبُونَكُمْ

يَسْتَعْبِدُونَكُمْ

أَمَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ أَصْلَحُ لِلزَّوَاجْ

عَهْدًا

لَأَرْجُزَنَّ رَجَزًا يُخِيفُ دَاخِلِيَّةَ الْأَزْوَاجْ

يَثُورُ بِالْأَعْزَابْ

لِيُسْقِطُوا النِّظَامْ

فِي دَوْلَةِ الْأَزْوَاجِ

دَوْلَةِ الْكَلَامْ

يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ

تَقَلَّبَتْ حَيَاتُهُ بَلِ انْقَلَبْ

تَرَاهُ تَحْسَبُ الَّذِي يَأْتِي ذَهَبْ

فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مَحْضُ تَعَبْ

يَا رَبِّ مَا يَبْدُو لِمَا أَلْقَى سَبَبْ

يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ

قَدْ زُرْتُ بَيْتَهُ فَأَلْفَيْتُ الْعَجَبْ

هَذِي كَرَاسِي فَوْقَ بَعْضِهَا كُتُبْ

وَذِي مُلَاءَةٌ سَرِيرُهَا هَرَبْ

سِتَارَةٌ تَلْعَبُ مَا أَحْلَى اللَّعِبْ

يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ

وَعَدْتَنِي وَلَمْ تَجِئْ فَمَا السَّبَبْ

أَحْبَبْتُ أَنْ أَطْبُخَ يَوْمًا مَا يَجِبْ

قَلَوْتُ لَمْ يُفِدْ سَلَقْتُ لَمْ يَطِبْ

مَا لِي وَقَدْ صَنَعْتُ كُلَّ مَا كُتِبْ

يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ

هَذَا السُّكُونُ فِتْنَةٌ لِذِي الْأَرَبْ

لَا طِفْلَ يَبْكِي يَبْتَغِي بَعْضَ لُعَبْ

لَا زَوْجَةٌ تَشْكُوكَ مِنْ غَيْرِ سَبَبْ

فَتَرْتَضِي شَكَاتَها جَمَّ الْأَدَبْ

يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ

عَلَى الَّتِي تَسُرُّه إِذَا رَغِبْ

تَصُونُهُ فِي عِرْضِهَا إِذَا ذَهَبْ

عَلَى الَّتِي تُرِيحُهُ إِذَا تَعِبْ
تَقْبَلُهُ دَوْمًا وَإِنْ قَلَّ النَّشَبْ
يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ
عَلَى الَّتِي يُكْرِمُهَا وَإِنْ غَضِبْ
فَلَا تَخَافُ عِنْدَهُ عَسْفَ النُّوَبْ
وَلَا تَظَلُّ تَصْطَلِي نَارَ الرِّيَبْ
حَيَاتُهَا حَيَاتُهُ فَلَا عَجَبْ
يَا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا عَلَى عَزَبْ"!

قد استدل عزب على عزب! قد استدل عزبنا على عزبه! ولقد ثبت لديَّ أن الأستاذ محمود زكي تلميذي النجيب، إنما أراد أن يُكَرِّمَ فيَّ حرصي وإلحاحي الدائمين على زواجه! وإنه لأكرم تكريم أن يهتدي إلى ذات الدين والحسب والنسب، التي يكتمل بها وتكتمل به؛ فتنشأ باكتمالهما أسرة ناجحة، تشارك في نهضة مجتمعنا وشعبنا وأمتنا.

بَارَكَ اللهُ لَهُمَا، وَبَارَكَ عَلَيْهِمَا، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي خَيْرٍ!
بَارَكَ اللهُ لَهُمَا، وَبَارَكَ عَلَيْهِمَا، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي خَيْرٍ!
بَارَكَ اللهُ لَهُمَا، وَبَارَكَ عَلَيْهِمَا، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي خَيْرٍ!

وشكر الله لكم، والسلام عليكم !



اللَّهُمَّ، بِالْقُرْصَيْنِ!

عزمت الخميس ٦/ ٢/ ٢٠١٥ على معتز وبراء إلا ما سافرا معي إلى طَمَلَايَ؛ فاعتذر براء بعمل جامعي؛ فصحبناه إليه، ومكثنا نشرب الشاي بجامعة القاهرة ونعجب حتى أنجز عمله، ثم ركبنا إلى المظلات فعَبُّود حيث وجدنا سيارات منوف على خيرٍ مما ظن معتز.

في منوف استأجرنا سائقا إلى مقابر طملاي لنزور أبانا وأهلنا وأحباءنا السابقين، عفا الله عنا وعنهم في الصالحين! سلمنا عليهم، ودعونا لهم، وقرأنا من كلام الحق -سبحانه، وتعالى!- وكنت أصافح القبر بيميني مثلما كنت أصافح صاحبه؛ عسى الله أن يصفح عني وعنه!

وأفلتت من براء كلمة في اسْتِيحاش المكان؛ فدعوته إلى إِيناسه بالعمل الصالح!

ثم ذهبنا إلى ثلاث عماتي اللواتي بطملاي واحدةً واحدةً، فجالسناهنّ وأهليهنّ، وأكلنا عندهن، وشربنا، وصلينا حتى أَدْرَكَنَا الوقتُ؛ فأقبلنا نُبادرُه عن مُنقَطَعِه ويُبادرُنا! وطال وقوفنا وما من سيارة تعيدنا إلى منوف حتى تجرأ علينا الندم؛ فقلت لصاحبي: تريدان سيارة؟ قالا: نعم! وكنت قد رأيت بناحية من أسفل الطريق رجلا أشعثَ مُتجمِّعًا من البرد في ثوبٍ مُفردٍ هَلْهَلٍ، فقلت لهما: اشتريا لهذا الرجل شيئا يأكله! فخف معتز من فوره إلى دكان قريب، ثم عاد قائلا: لم أجد فيه غير هذين القرصين.

أخذت القرصين، وذهبت أتقرب إلى الرجل، وأتودد وهو بين ابتسام والتفات حتى رضي أن يمسكهما، فألححت عليه أن يأكل منهما؛ فقضم من أحدهما، ثم نحّاه عنه؛ فألححت عليه، فدفعهما عنه، ثم أمسك بهما يريد أن يلقيهما خلفه؛ فأدركتهما، وتلطفت به؛ فقضم من الآخر قضمة، واكتفى. وكان يَلوكُ ما قضم لَوْكَ مستغربٍ مُستثقلٍ، ولكنه بقي ينظر إلي مبتسما ويلتفت عني فينظر ويلتفت دواليك، وأنا شديد الإشفاق عليه والحنين إليه!

وقف صاحباي ينتظران أجر المعروف ولا يجدانه! وأخذنا في أخبار صنائع المعروف التي تقي مصارع السوء وليس أسوأَ عندنا حَيْرَةً

وعَجْزًا من انتظارنا هذا الطويل القارس؛ فتوقف فيها براءٌ بخبر صاحبه الذي دخل المسجد ليصلي فسُرق حذاؤه؛ فذكرت له أن المراد إنما هو أعمال خدمة الناس والإحسان إليهم!

توالت السيارات غيرَ عابئة بنا حتى تمازحَ صاحباي باسترداد القرصين من الرجل؛ فوقفتْ بإزائهما سيارةٌ ما شاءا من سيارة، فقفز براء إلى جوار السائق، وركبتُ أنا ومعتز خلفه، ولم ألبث أن ناديته من خلف: براء، كيف وجدت القرصين! فقال: سبقتَني!

في منوف ذهبنا إلى عمنا ثم أخينا اللذين بها، فجالسناهما، وائْتَنَسْنَا بهما واحدا واحدا، ثم إلى أصهار معتز الذين احتفوا بنا وبالغوا في إكرامنا وأنكروا علينا عزمنا بعدئذ على الإياب إلى القاهرة حتى ارتاب صاحبايَ في سياراتها؛ فأبيتُ إلا السفر حرصًا على بركة الغد من أوله في أسرتي؛ فإذا سيارتان متاحتان لا واحدة؛ فقلت لصاحبيّ: كيف وجدتُما القرصين! وربما كان بهما تيسير ما كان قبلهما؛ فهذا توفيق من لا زمان عنده ولا مكان، سبحانه، وتعالى!

وأوصيتهما كلما صنعا من مثل ذلك المعروف الخالص أن يدعوا به الحق –سبحانه، وتعالى!– من وقتهما، إلى ما يشاءان قائلين: اللهم، به افعل لنا كذا وكذا...، موقنين من أنه سيفعل؛ فإنه يفعل، سبحانه، وتعالى !



لِسَانُ الْجَامِعِ

أمس الجمعة ١٢/ ٢/ ١٤٣٦=٥/ ١٢/ ٢٠١٤، غاب خطيب جامع جامعة السلطان قابوس، وناب عنه شاب من تلامذته، يقرأ الخطبة، ويجتهد أن يُحيي موات القراءة بحياة أدائه الآيات أداءً طيبًا، وهيهات!

ثم أَمَّنا الخطيب، فلم يكد يسلم من الصلاة، حتى تقدم من خلفنا إلى يسار المنبر شيخٌ غريب اختلط في ملابسه العربيُّ العمانيُّ والعجميُّ الباكستانيُّ، وهو يصيح فينا مُبَسْمِلًا مُحَمْدِلًا مُصَلِّيًا مُثْنِيًا على الحق -سبحانه، وتعالى!- بلغة عربية صحيحة الأصوات إلا العلامات الإعرابية التي اختلط بعضها ببعض اختلاطا عجيبا -فوقع في نفسي عندئذ أنه

مكروب مأزوم، يطلب المساعدة على مصيبته الفادحة، ولاسيما أن المستشفى الجامعي قريب، ربما احتبس فيه بعض أهله- ثم توسل إلى الله بطهارة الزمان والمكان والحاضرين والغائبين، أن يشفي السلطان قابوس، ثم طالبنا بالتأمين؛ فأمنا. ثم استسمحنا أن يعيد ما سبق باللغة الأوردية، ثم طالبنا بالتأمين؛ فأمنا. ثم سلم، ورجع إلى حيث كان جالسا!

لقد كان مِنْ جَهارة الصوت وثباته وصدق الدعوة وشرفها، بحيث خَطِفَ الأسماعَ والأبصارَ والأفئدةَ، حتى تَبارتْ في الثناء عليه والدعاء له، ثم تَجَمَّعتْ عليه فيما بعد، تسلم عليه، وتَتحبَّب إليه!



مَا أَكْذَبَكَ!

تَخيَّل تلامذتك بحرصك على تصحيح منهج البحث، وأنت إنما هربت من افتضاحك بالعجز عن الاكتشاف!

أما علمت أن أول العلم اكتشاف الظواهر، وثانيه وصفها، وثالثه تفسيرها، ورابعه التنبؤ بها، وخامسه التحكم فيها! تلك خمسة كاملة.

لقد مضى علم الطبيعة في منهج تلك الأعمال إلى آخرها (التحكم في الظواهر)، فأما علم الإنسان فلم يتجاوز ثالثها (تفسير الظواهر)، ولن يتجاوزها إلا أن تنجح شركات الصناعة والتجارة العالمية في تحويل البشر إلى نسخ شائهة تعيش معيشة الجماد أو الحيوان وتخضع خضوعهما!

ولو كنتَ وُهبت نعمة الاكتشاف لعرفت أنه أساس منهج العمل الذي لا تقوم سائر أعماله إلا عليه، ولأغريتَ تلامذتك بأن ينقطعوا لمواد بحثهم، فيساكنوها، وينصتوا إليها، ويصبروا عليها حتى تبوح بطرف من أخبارها!

ولكن كيف يسمع من في القبور!



مُصْحَفِي

في غمرة سفري عجلان أبادر موعد الحظر -وسبحان من نصب لنا الإشارات!- نسيت مصحفي؛ فلما استقر بي المقام السبت ٧/ ٩/ ٢٠١٣، وحضرت الصلاة- أقبلت على مسجد جامعة السلطان قابوس، فصليت، ثم استعرت منه مصحفا أتبلغ به!

ربما اقترح مقترح أن أتبلغ بما حفظت أو حفظ حاسوبي، وفَاتَهُ أن من تمام التعبد بقراءة القرآن أن أتأمله في المصحف وأن أحرك به لساني مسموعا لي وهو أفضل أو غير مسموع.

وحضرني ما رُوِّينا من قول الإمام مالك بجواز سرقة الكتب -وإن رجع عنه- وخطر لي أن أحقَّ الكتب بالسرقة المصاحف المهملة، وأنه لا يمتنع أن يكون عدم القراءة فيها من معاني هجرانها المحذَّر في قول الحق -سبحانه وتعالى!-: "إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا".

ولقد كنت مِنْ حَذَرِ هذا المعنى أحمل إلى المسجد كلَّ ما زاد من مصاحف البيت على قراءتنا، حتى أفرطتُ؛ فاحتاجت زوجي إلى مصحفها، فأقبلت على مسجد الحي، فاخترت بمصحفها الكبير مصحفا متوسطا!

رآني راءٍ، فلما كانت الصلاةُ اللاحقة أقبل عليَّ بمصحف آخر مؤذنُ المسجد حيرانَ فيما يُعبِّر به عن إصرار مهدي المصحف المسجدَ أن أعيده وقد كنت لمحتُه حين خرجتُ بالمصحف -ولا والله ما عرفته في حلقة القراءة، ولا أذكره في أهل الصف الأول، والله أعلم به!- فأبيت إلا أن أشتري لها!

ومن لطائف ما كنا ندعو به تلامذتنا ألا يبخلوا بكتبهم على طلابها، ما رُوِّينا عن سفيان الثوري مِن أنَّ مَن حَبَسَ عن طلاب العلم كُتُبَه عُوقِب باحتراق مكتبته، وإن أوجبنا عليهم أن يصطنعوا من السياسة ما يضمن لهم أن ترد عليهم!



مَعَ مَحْمُودْ مُحَمَّدْ شَاكِرْ فِي رَمَضَانَ

وَصَلْتُ إليه من بعد عصر الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمئة وألف (٢٥/ ٩/ ١٤١٣هـ)، فإذا هو مشغول بكتاب الله وحده يقرؤه رافعا به صوته مُتَحَرِّيًا من الإتقان والتزيين وُسْعه وكأنما يَتَنَزَّلُ عليه، في مصحف من قياس متوسط، يَنْفَرِدُ إذا وَضَعَه قليلا لتحية القادمين، بمنضدة الكتب الصغيرة التي لم تكن تخلو عن يساره من وفود الكتب الجديدة!

تَنَحَّيْتُ عنه مأخوذا بمكتبته التي لم تدع جدارا من بيته الكبير إلا كَسَتْهُ من أرجائه الأربعة -ولو عَلِمَتْ مَنْفَذًا إلى باطنه ما تَرَكَتْهُ- إلا جُدْران المطبخ والحمام!

أُذِّنَ للمغرب، فذهبت إلى حَيْثُ السُّفْرَةُ، أَذوقُ شيئا من قبل الصلاة، فأَغْرَتْني قَواريرُ قَمَرِ الدين ومياهِ سفن أب الغازيَّةِ، فشربتُ بعضها ببعض أُنْعِشُ وقار القمر بنَزَق الغازية!

صَلَّيْنا ثم أقبلنا على سُفْرَةٍ أكرم من رأينا، فإذا ألَذُّ طعام وأغلاه وأكثره! عَرَفَ أستاذنا حَيْرَتي، فدعاني إلى طبق الفول المدمَّس بالفحم، الذي يبدأ به إفطاره، فشكرتُ دعوته الكريمة، وآثرتُ حيرتي! فتبَسَّم، وتَبَسَّمْتُ!

فيا سبحان الذي أَلَّفَ على مائدته بين المُتَباعِدَات، كما أَلَّفَ في مجلسه بين المُتَباعِدِين!



مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا بَطَلَ صَوْمُهُ (فصل في الأطعمة الإندونيسية)!

بعد سفر ثلاثين ساعة من بيت جامعة السلطان قابوس بمدينة مسقط العمانية، وصلت إلى فندق الحديقة الحميم بمدينة جوكجاكرتا الإندونيسية، صباح الثلاثاء ٧/ ١٠/ ٢٠١٤، فدعاني أخي الفاضل الدكتور تولوس (المستقيم بالإندونيسية) مصطفى رئيس اتحاد مدرسي اللغة العربية بإندونيسيا، إلى الإفطار بمطعم الفندق ومعنا تلميذه الأثير الدكتور مهاجر، وكنت شبعان من أطعمة الطائرات، ولكنه شهاني بأطعمة الفنادق؛ فتشهيت، فإذا أطعمة إندونيسية غريبة: أرز ومكرونة وسمك ولحم متخفية بحجاب الإندونيسية الثخين، وعجين نضيج

وتوابل وسوداني وفول صويا محمصان وخضراوات مجهزة للخلط، وخضراوات مطبوخة، وقطع بطاطس وعجائن فولية صويائية مقلية، وشرائح خبز سمكي وسلطة خضراء، وقطع بطيخ وشمام وشيء كأنه من أولاد الشمام والمانجو فاكهي مركب، وشرائح خبز توستي وجبن زبدي ومربى عسلية ومكسرات شيكولاتية، وعصائر الجوافة الحمراء والبيضاء، وشاي أخضر معطر وشاي أعشاب أصفر دوائي لا يصنعه غير صوانع ماهرات تمر به على البيوت!

ندمت على ما فرط من تَشَهيَّ، واجتزأت بقليل من المكرونة والبطاطس والسمك والسلطة والفواكه وعصير الجوافة الحمراء والشاي الأخضر المعطر، وقبلت نافرا رشفة تعريفية من شاي الأعشاب دعاني إليها الدكتور تولوس، واعتذرت عن الأرز الذي يأكله الإندونيسيون إفطارا وغداء وعشاء ولا يعدون آكلا من لم يأكله -مهما أكل- ويسمونه الناسي، ولا يأبون أن يكون منسوبا إلى الناس الذين به حياتهم، غير بعيد مما يسميه له الخليجيون عيشا، ولا مما يسمي المصريون الخبز، ويُعايُونَنَا بقولهم: مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا (أرزا) بَطَلَ صَوْمُهُ!

وعلى رغم غلبة الأرز عليهم حتى أكلوه كل وقت طبيخا وحلوى، تراجع إنتاجهم له حتى صاروا في مستورديه، وخدعم عنه بعض رجال الأعمال الفاسدين بأنواع من البطاطس الوافدة!

تركني الدكتور تولوس على أن يأخذني مساء إلى غداء خارجي بعدما أرتاح من عذاب سفر الثلاثين ساعة، فارتحت، ثم ارتحت، ثم ارتحت، ولم يأت؛ فاضطررت إلى مطعم الفندق، فلم أجد النظام المفتوح، وجاءتني بالقائمة النادلة، وأقبلتْ تشرح لي الأطعمة المصورة، فلم أفهم عنها شيئا لا بالإندونيسية ولا بالإنجليزية، وفررت إلى غرفتي أنتظر الفرج، فلما تأخر وعضني الجوع بنابه -"لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ"، كما قال البدوي الأول- أقبلت على مطعم الفندق إقبال متوجس من الفوات، وجاءتني بالقائمة نادلة أخرى -وهذا أول التوفيق- فطلبتُ ثلاثة أطباق، واشتغلت بالقراءة، فلم تلبث أن جاءتني تباعا، وإذا أولها ربع دجاجة بلدية وقالب أرز أبيض وشرائح سلطة خضراء وصلصة توابل حمراء، وإذا ثانيها سمكة بلطي كبيرة عريضة مشققة مقلية بشرائح ليمون وشرائح سلطة خضراء، وإذا ثالثها قطع بطيخ وشمام مكسوة بشرائح الجبن وسوائله على فرائش الخس! ولا والله ما اجترأ على ذلك ظني، ولكنه أجر الصبر؛ فمضيت فيها ذهابا وإيابا ولم أدر أَسْتَغْفَرَتْ لي أم مني! وطلبتُ وثيقة التوقيع، فجاءتني النادلة بوثيقة الدفع وفيها ١٠٠٠٠٠ روبية (٦٠-٦٥ ج.م.ع) -ويا ما أرخصها! - فنبهتُها، فجاءتني بوثيقة التوقيع بالمبلغ ومواضع إثبات رقم الغرفة واسمي وتوقيعي.

جاءني الدكتور تولوس عشاء يعتذر باستقبال ضيوفه، فعذرته، ولكنه بالغ في اعتذاره بكيس أسود قائلا: هاك بعض المياه! وإذا فيه قارورة

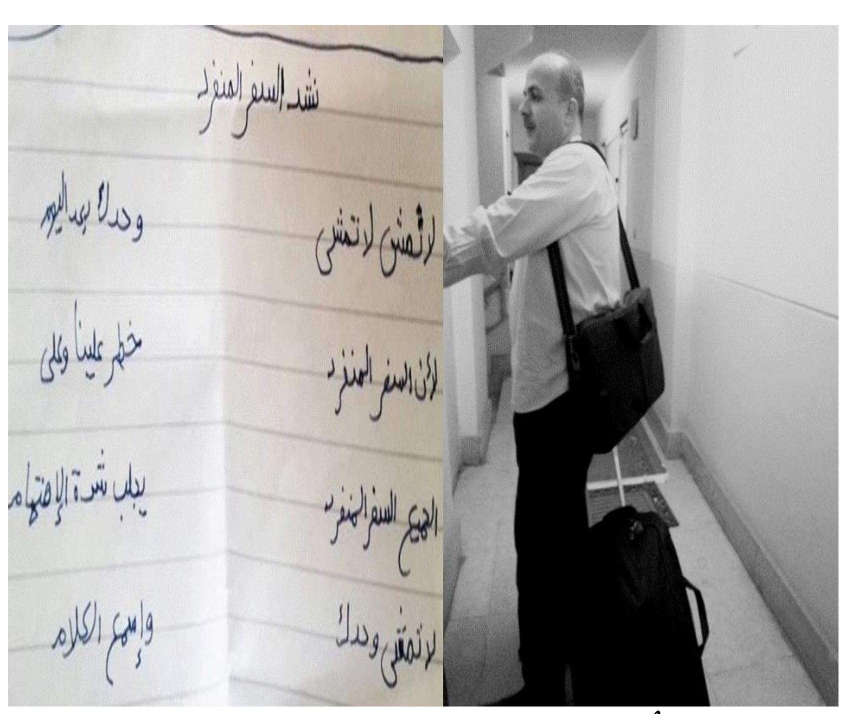
ماء وعلبة عصير تفاح كبيرتان، وعلبة مربى عسلية، وشرائح جبن معروفة وشرائح خبز توستي وحشية غريبة؛ فتدللتُ بها على طوارئ الجوع الطارئة.

ومن صباح الغد حملني وزملائي إلى إدارة جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية لنشهد افتتاح ندوتنا ثم نحاضر محاضراتنا في قاعة مناقشة الرسائل العلمية. ولكنه انعطف بنا يسارا إلى مجلس وثير لقينا فيه الدكتور محمد أمين عبد الله مهندس هذه الجامعة التكاملية الفذ ورئيسها المتنحي قريبا بعد مدتين رباعيتين لا تتيسران لغيره، وبعض نوابه، وتشاركنا في مثل الشاي الأخضر المعطر الآنف، والعنب الأحمر المعروف وموز ضئيل مُشْرَبٍ حُمْرَةً لذيذ وهرائس أرز بيضاء وحمراء محشوة وغير محشوة وهرائس جوز هند محشوة؛ فلم نرتح إلا إلى العنب والموز!

ومساء دعانا الدكتور تولوس إلى غابة تيمبوراسو (ظهور الطعم بالإندونيسية) الصناعية السياحية التي ساعدت هي نفسُها صُنَّاعَها على صناعتها؛ فتسابقت إليهم أشجارُ الكلابا (جوز الهند) السامقة ومياه الوديان الحافلة بالأسماك، فعرَّشوا على هذه تحت تلك تَعْريشاتٍ ساحرةً غامضةً، أَوَيْنا إلى بعضها حتى جاءتنا كؤوس الشاي الأخضر المعطر والزنجبيل، وأطباق الفول السوداني الأخضر ذي الثمار المُثلَّثة الحبات اللؤلؤية في قشورها، وطواجن الأرز الخشبية المستطيلة العميقة، وعجائن الصويا، وأطباق الأسماك والجمبري والدجاج والسلطات المتعددة

المختلفة، وثمار الكلابا المشقوقة للمَواصِّ والملاعق؛ فافتَتَنَّا بالفول السوداني الأخضر مع الشاي الأخضر المعطر، ثم اكتفينا بقليل من الأرز، وأكثرنا من الأسماك والجمبري والسلطة الخضراء -وظننت الدجاج بلديا فخاب ظني- ثم ارتوينا بمياه جوز الهند، وتلذذنا بكَشِيطه حتى اضْطَرَّنا منتهى التاسعة؛ فسلكنا له مضايق الغابة الساحرة، ساخطين على حجاب الظلام الظالم!

بعدما قضينا من إندونيسيا كل حاجة حملني إلى المطار الدكتور تولوس وتلميذه الأثير الدكتور مهاجر، وانتظرنا وصول طائرة جاكرتا بمطعم رجال الأعمال، ودَعَوانِي إلى الطعام، فإذا طبقة فاخرة من الأطعمة الإندونيسية السابقة نفسها لا الغربية المقحمة -وكنت قد أفطرت- فألح علي أن أتعرفها، فلم أجبه إلا إلى الفول السوداني الأخضر ذي الثمار المُثلَّثة الحبات في قشورها، فتلذذتُ بحباته اللؤلؤية مِسكَ ختام، وفصوصَ مودة منسلكة بسلك وصال الطيبين الكرام!



نَشِيدُ السَّفَرِ المُنْفَرِدِ

إنه لفرات محمد جمال صقر ابني الأصغر ذي ثماني السنوات، يُدافعني به عن باب المصعد (المهبط) وأدافعه. وما الشعر عنده الآن إلا نشيد، نشيد كنشيد الصباح المدرسي؛ فإنه إذا كان هذا لدخول الطلاب صفوفهم المدرسية، فذاك لدخول أبيه بيته العائلي!

"نشد السفر المنفرد

لا تمش لا تمشي　　　وحدك بعد اليوم

لأن السفر المنفرد　　　خطر علينا وعلى

الجميع السفر المنفرد　　　يجلب شدة الإهتمام

لا تمشي وحدك　　　وإسمع الكلام"!

هكذا كتب، وأصاب بها أخطا أبعد مما أصيب بها أصيب!

ولا أدري متى أسمع الكلام، يا حبيبي!

كيف وقد "ندهتني النداهة"!

عافاك الله وحفظك ورعاك ووفقك وثبتك!

وآنس وحشتك وآمن روعتك!

وجمعنا أبدا على خير!

آمين!



النَّغَمُ الْعُلْوِيُّ

"النَّغَمُ الْعُلْوِيّ
سِحْرُ الْحَرْفِ الْعَرَبِيّ
حِينَ يَصِحُّ لَهُ الشَّكْلُ اللُّغَوِيّ
حَيِّ الْمُتَلَاعِبَ بِالْكَلِمَاتِ عَلَى جِسْرِ النَّظْمِ الدُّرِّيّ
يَسْلُكُهَا فِي سِمْطٍ شَرْقِيّ
لَا كَالْمُتَلَجْلِجِ لَا يَعْرِفُ حَيًّا مِنْ لَيّ
حِينَ يَضِلُّ لِسَانُ الْمُتَلَجْلِجِ لَا يُهْدَى إِلَّا بِالْكَيّ
حَيِّ الْمُتَلَاعِبَ حَيّ

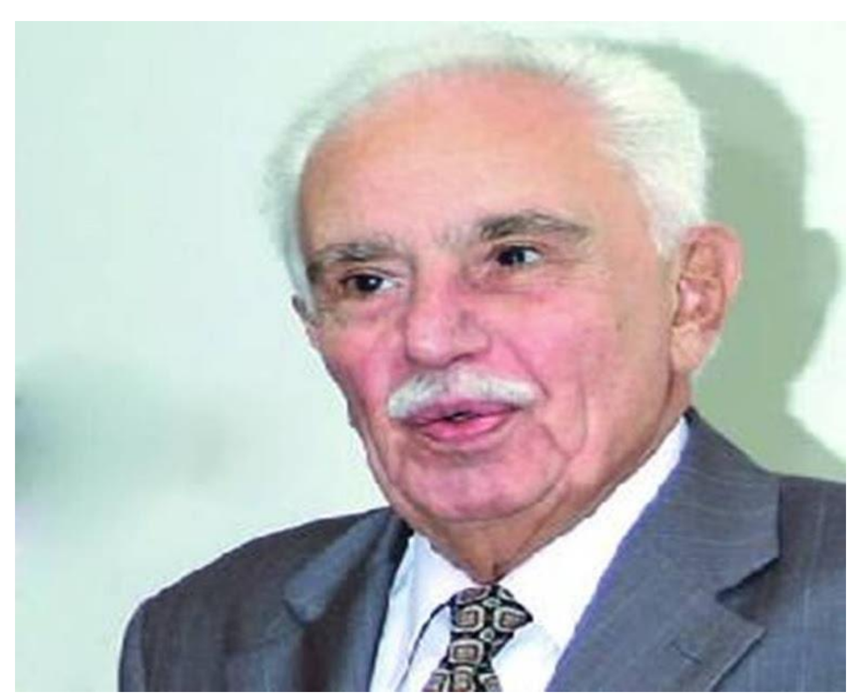
اِكْوِ لِسَانَ الْمُتَلَجْلِجِ شَرَّ الْكَيّ"!

تلكم كانت كلمات من تعليقتي سنة ١٩٩٠ على ورقة إجابةِ أحمد عاطف أحمد اختبارَ التدريبات، الذي أنهيت به أولى محاولاتي التدريسية المتعثرة بقسم النحو والصرف والعروض من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

لقد فضلته آنئذ على زملائه جميعا، ولم يكن فُضِّلَ من قبلُ، وأيدته لأحرص فيما بعد دائما على تفضيل طلاب العلم وتأييدهم؛ فإذا به يؤمن بفضله، ويعدو إلى مقدمة دفعته، ثم إلى مقدمة كليته، ثم إلى مقدمة مجاله على مستوى العالم كله!

لقد صار بروفيسورًا من طراز رفيع بالولايات المتحدة الأمريكية، ولم يَكُفَّ يومًا عن مواصلة مَنْ فَضَّلَه أولا وأَيَّدَه، ولا نَسِيَ تعليقه على ورقة إجابته، حتى فُوجِئتُ به أوائل مارس الماضي من هذه السنة ٢٠١٣، يكلمني من داخل مسقط، ويحرص على لقائي قبل إيابه إلى حيث يعمل أستاذ كرسي السلطان قابوس لدراسات الشرق الأوسط بأعرق الجامعات الأمريكية.

تلميذي النجيب الأخ الحبيب، سعادة البروفيسور أحمد عاطف أحمد، حياك الله، وأحيانا بك!



وَفَاةُ الدُّكْتُورِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَسَدْ (١٩٢٢-٢٠١٥)

هو أول من حصل على رسالة جامعية عليا من تلامذة محمود محمد شاكر أستاذنا أستاذ الدنيا، ولم يكن أحد أسعد به عندئذ منه، ولو شهدتها لرأيت ما حكاه لي الأثبات من تلامذتها، غير أنني شهدتُ المجلس مرة، وسمعت الباب؛ فبادرت إلى الطارق؛ فإذا من يقول لي محتفيًا بي حفاوةً شديدة:

ناصر الدين الأسد!

أهلا بك -يا أستاذنا- وسهلا ومرحبا!

ظنني فهرا، ولم يكن حضر المجلس منذ سنين حَرَجًا من أستاذنا، أن تَبسَّطَ في الكلام عنه للكتاب التكريمي بما لم يقبله. وكانت معه سيدة مصرية تبين أنها زوجه، وأن أستاذنا هو الذي زوجه إياها. وكان من ثباتها وإخلاصها، أن أبت أن تجلس حتى يصفح عنه!

فيا ما كان أشبه ذلك المجلس بمجلس الإسلام الذي شهدته بمسجد عمرو بن العاص!

"رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"؛

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ!



وَفَاةُ مُحَمَّدِ الْفَيْتُورِيِّ (١٩٣٦-٢٠١٥)

"إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"!

توفي اليوم ٢٤/٤/٢٠١٥ بمدينة الرباط المغربية، الشاعر السوداني الدرعمي الكبير محمد مفتاح الفيتوري -رحمه الله، وطيب ثراه!- "الدرويش المتجول"، الذي اختص بالغناء لإفريقيا، صاحب هذه الأغنية التي ضمنتها حواريتي "واعروض شعراه"،

أُحضّر بها أرواح المتحاورين:

فِي حَضْرَةِ مَنْ أَهْوَى عَبَثَتْ بِي الْأَشْوَاقْ

حَدَّقْتُ بِلَا رَأْسٍ وَرَقَصْتُ بِلَا سَاقْ

وَزَحَمْتُ بِرَايَاتِي وَطُبُولِي الْآفَاقْ
عِشْقِي يُفْنِي عِشْقِي وَفَنَائِي اسْتِغْرَاقْ
مَمْلُوكُكَ لَكِنِّي سُلْطَانُ الْعُشَّاقْ

الذي كان أحد من نشروا مجاميعهم الشعرية الأولى وهم بأولى دار العلوم من جامعة القاهرة، وسطعت نجومهم، حتى انصرفوا بها عن الدراسة!

ولا أنسى كيف افتتن به الدراعيم قديما شعرا وإلقاء، ولاسيما ليلة قصيدته:

قِفْ خُشُوعًا وَاخْفِضِ الرَّأْسَ فَقَدْ أَشْعَلَ الْمَوْتَى الْقَنَادِيلَ وَقَامُوا
وَالَّذِى تُبْصِرُهُ عَيْنَاكَ فِي ذَلِكَ الدَّرْبِ الرَّمَادِيِّ زِحَامُ
وَالَّذِى يَسْقُطُ مِنْ أَقْدَامِهِمْ هَيْكَلٌ رَثُّ الْبَقَايَا وَحُطَامُ
عَادَتِ الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَى فَلِلْمَوْتِ رَغْمَ الْمَوْتِ بَدْءٌ وَخِتَامُ
فَتَعَلَّمْ كَيْفَ تُحْيِي أُمَّةً نَسِيَتْ أَنَّ الْبُطُولَاتِ اقْتِحَامُ
أَنَّ أَرْضَ الْحُرِّ مَهْمَا اسْتُلِبَتْ أَرْضُهُ فَهْيَ عَلَى الْغَيْرِ حَرَامُ(...)

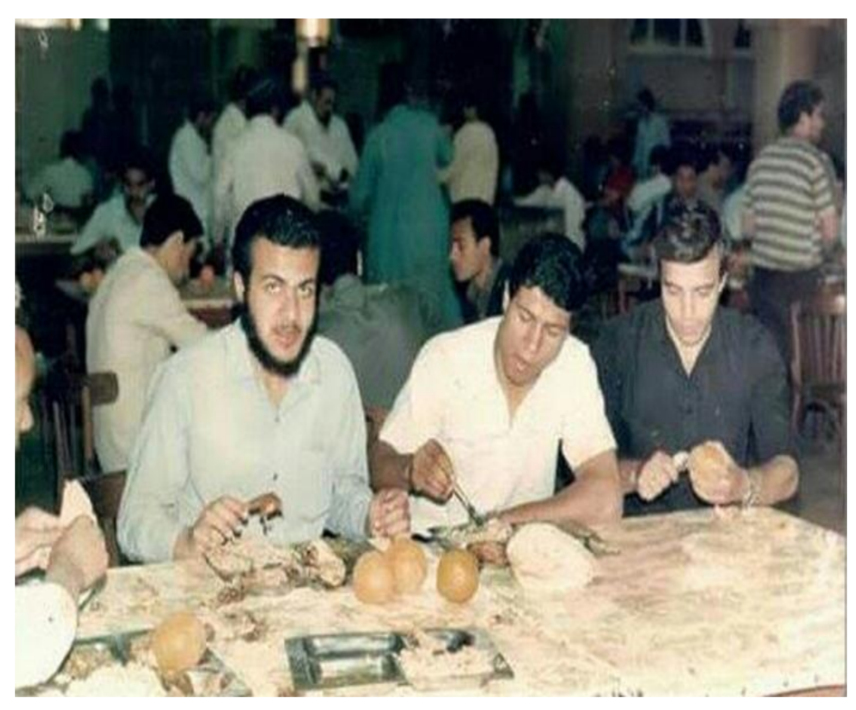
التي تناقلوا صفتها وكأنهم بأغاني الأصفهاني لم يبرحوا!

أما أنا فشهدته في ثمانينيات القرن الميلادي العشرين، بإحدى أمسيات معرض القاهرة الكتابي الدولي الشعرية، عن يمين إحدى الأميرات المتشاعرات، يسقط عن كتفيها رداؤها فيسرع إليه يعيده، وفي

شعره ما لو عرفته لمنعته، ولكنه دَلال الإمارة المزيَّفة على الشعر الأصيل، أو لِينُه لها!

وقاتل الله ابن يزيد أَسّ الفساد، بقوله:

لِيَ الْمَحْضُ مِنْ وُدِّهِمْ وَيَغْمُرُهُمْ نَائِلِي



وَالله زَمَانٌ

كنا نصطف بمطعم المدينة الجامعية في صف متطاول وفي يد كل منا صينية الطعام المقسمة على أربع عيون للأرز والطبيخ والسلطة والفاكهة غداء، وللفول والبيض والجبن والمربى عشاء، ولا حضور للإفطار بل نتسلمه جافا مع العشاء!

في الصف قَلَّبَ طالب صينيته، ولم تعجبه نظافتها؛ فقلت له:

أتريد أن يغسلوها لك بالماء والثلج والبرد!

فقال طالب آخر يسمع:

أنت إذن من دار العلوم!

إذا كان يوم الدجاج ابتهجنا واحتفلنا والتهمنا، وإذا كان يوم اللحم اغتممنا واغْتَفْنَا، حتى لربما تَصدقنا على قطط المطعم مضطرين! ولكنها كانت قد تطبعت بطباعنا.

وفي الصباح بغرفنا نجتمع على الإفطار؛ فمن يجهزه لا يغسل مواعينه، ومن لا يجهزه يغسلها، هكذا قسمة عادلة!

ولكن جاري أخي الحبيب الفاضل الدكتور محمد مكادي، يسبقني إلى عملي مع عمله، فإذا صحتُ به قال:

لا أريد منك إلا أن تجتهد في طلب العلم!

وكأن لم يكن مثلي أو خيرا مني! تعلمت منه إذا سبقته أن أنادي عليه في غرفته:

اِمْسَمْبِهْ؟

وهي بالصعيدي "أَمُسْتَنْبِهٌ"، أي "أَمُتَنَبِّهٌ"!

فيجيب أو أجيب:

اِمْسَمْبِهْ!

فإذا استقر بنا مجلس الإفطار شرعنا "نُفَقِّشُ" الفول بالصعيدي، أي نُدَقْدِقُهُ، ثم نغدو؛ فلا يستعصي علينا أكل شيء ولا فهم شيء!

والله زمان!